قراءات في كتب جديدة

08 يناير 2025

جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية
MOHAMED BIN ZAYED UNIVERSITY FOR HUMANITIES

National Library & Archives
الأرشيف والمكتبة الوطنية

عام المجتمع
YEAR OF COMMUNITY
54
UAE

قـراءات مجلـة دوريـة تصدرهـا جامعـة محمد بن زايـد للعلوم الإنسـانية بالتعـاون مـع الأرشـيف والمكتبـة الوطنية، وذلـك ضمن جهـود الجامعة لتعزيز مجالات النشـر والتوثيق، وإثراء السـاحة الثقافية والأدبية من خلال عرض الجديد من الكتب والإصدارات في مختلف مجالات العلوم الإنسانية.

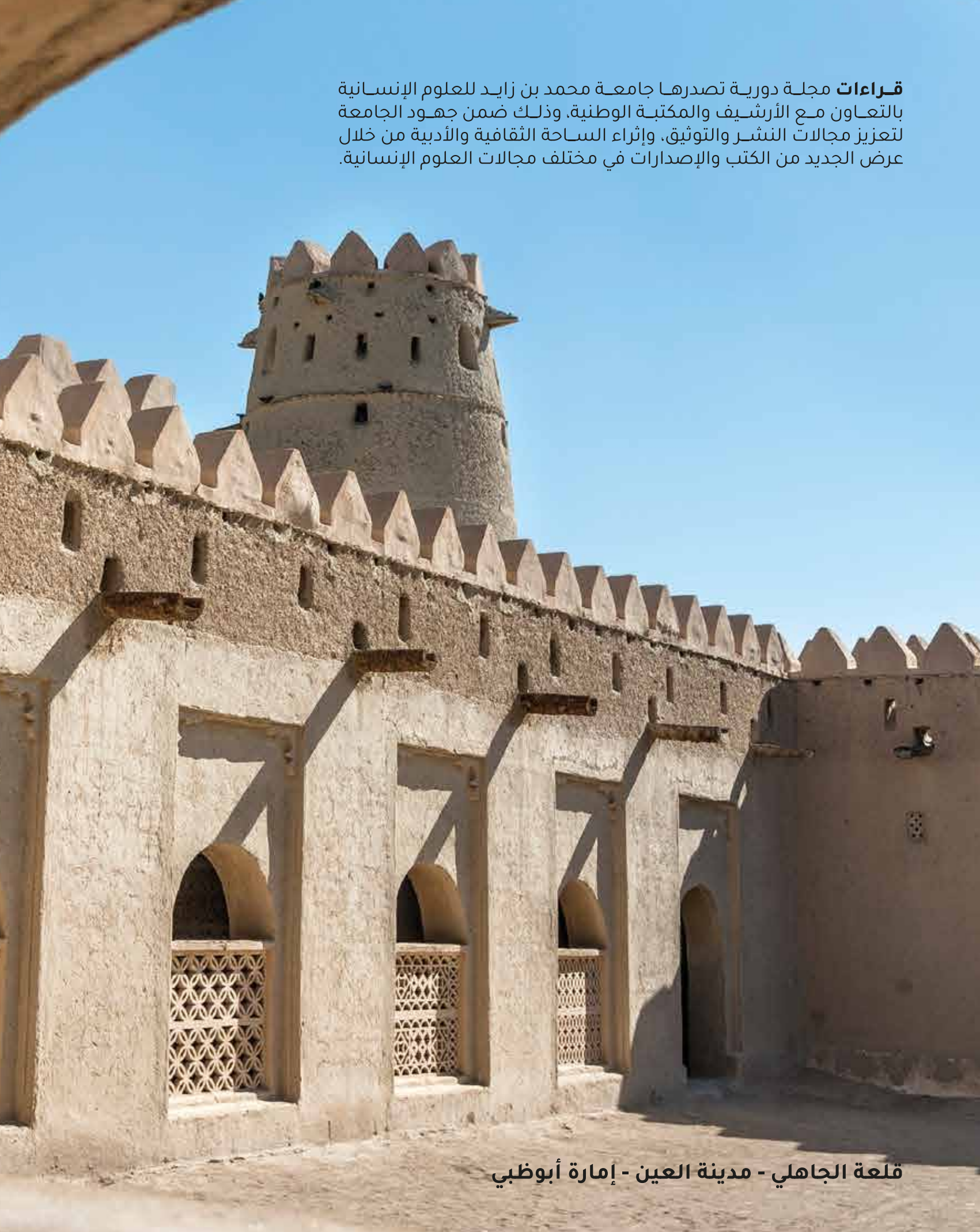

قلعة الجاهلي - مدينة العين - إمارة أبوظبي

جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية جامعة حكومية في إمارة أبوظبي. تتمتع بالشخصية الاعتبارية المستقلة، والأهلية القانونية كاملة التصرف، وذلك بموجب قانون الإنشاء رقم: 20 لسنة 2020.

تهدف الجامعة إلى دعم مسيرة التنمية والتطوير والبحث العلمي، عن طريق طرح برامج أكاديمية في العلوم الإنسانية والاجتماعية والفلسفية؛ لنيل درجة البكالوريوس والماجستير والدكتواره؛ لتكون مركزًا أكاديميًّا مرموقًا على مستوى العالم، في مجال العلوم الإنسانية والإجتماعية والفلسفية. وتسعى بشكل خاص إلى تقديم برامج أكاديمية متميزة في اللغة العربية وآدابها، وفي الدراسات الإسلامية بفروعها؛ بهدف تقديم الإسلام والثقافة العربية بطريقة حضارية وإنسانية، تقوم على نشر فضائل التسامح والمحبة واحترام حقوق الانسان، وإعلاء قيم الاعتدال والوسطية والانفتاح على ثقافات وشعوب العالم المختلفة.

وفي سبيل ذلك تسعى الجامعة إلى تمكين الخريجين من امتلاك القدرة على المبادرة، والإبداع والتفكير الناقد، وبث الروح الإيجابية، والانتماء للوطن، وترسيخ القيم التي تقوي الأواصر الاجتماعية، وترسخ التوازن النفسي والفكري والمادي؛ ليكون المجتمع الإماراتي منارةً علميةً، وأنموذجًا عالميًّا مؤثرًا في التوجه العالمي، وتحقيق نموذج الانفتاح على العالم بعقلية مبدعة، وقيم إنسانية وتعايش فعلي، وتعاون بناء لخير البشرية.

تقع جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية في مدينة أبوظبي، ولها فرع في إمارة عجمان. وتسعى حاليًّا لافتتاح فروع أخرى داخل الدولة وخارجها.

Mohamed Bin Zayed University for Humanities,
Al Muroor Street, P.O.Box 106621, Signal 23,
Abu Dhabi / 02 499 9000

Sheikh Maktoum Bin Rashid Street,
Mailbox 26262, Ajman, UAE / 06 711 9000

info@mbzuh.ac.ae
www.mbzuh.ac.ae

جامعة
محمد بن زايد
للعلوم الإنسانية
MOHAMED BIN ZAYED UNIVERSITY FOR HUMANITIES

الأحداث

12 أصالة الماضي وتطلعات المستقبل

14 تنظيم المؤتمر الدولي الأول لحوار الأديان

22 إطلاق مبادرة هوية أصيلة وإرث مستدام

مراجعات الكتب

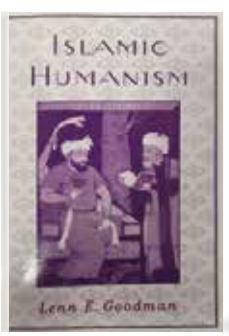

الإنسانية الإسلامية
16

الديموقراطية والدين
19

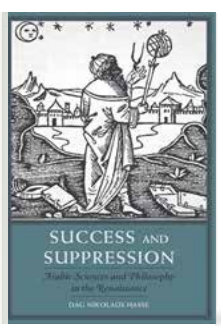

النجاح والإخفاء
24

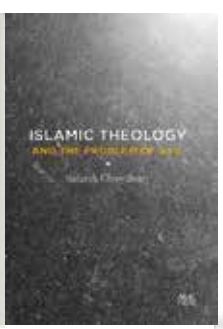

علم الكلام الإسلامي
27

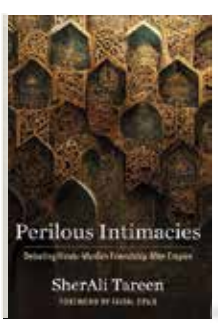

مناقشات حول الصداقات الهندوسية – المسلمة
30

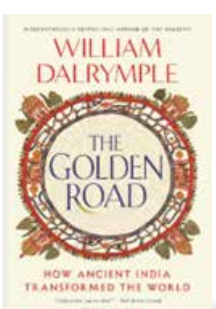

الطريق الذهبي
33

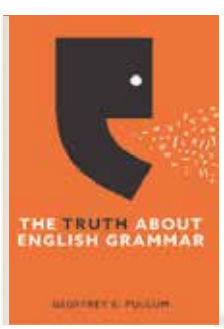

الحقيقة حول قواعد اللغة الإنجليزية
36

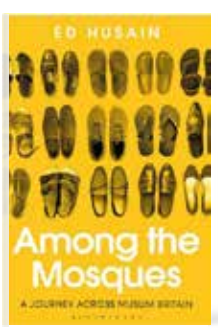

بين المساجد رحلة في بريطانيا
39

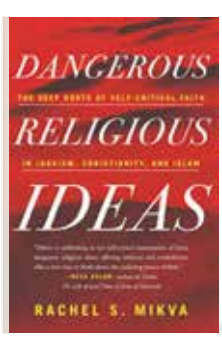

الأفكار الدينية العميقة
43

National Library & Archives
الأرشيف والمكتبة الوطنية

مجلة دورية تصدرها جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية بالتعاون مع الأرشيف والمكتبة الوطنية

رئيس التحرير
خليفة الظاهري

الإشراف العام
مريم الكلباني

مدير التحرير
رضوان السيد

مجموعة التحرير
البدر الشاطري
كريمة المزروعي
مريم الكلباني
محمد العزيزي
سمر السماحي

تصميم
دلال البلوشي

اخراج
مصعب مشعل

إصدار
إدارة الدعم البحثي بجامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

التسويق والتوزيع
مكتب الاتصال المؤسسي بجامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

بالتعاون مع
الأرشيف والمكتبة الوطنية

Abu Dhabi:
Mohamed Bin Zayed University for Humanities,
Al Muroor Street,
P.O.Box 106621, Signal 23,
Abu Dhabi

Ajman:
Sheikh Maktoum Bin Rashid Street, Mailbox 26262,
Ajman, UAE

Phone: + 971 4 388 46 99
Fax: + 971 4 388 47 99
e-mail: mbzuh@ac.ae

www.mbzuh.ac.ae

MBZ university for humanities
mbzuh

47 تنظيم برنامج الانغماس اللغوي والحضاري

63 ملتقى علمي لتطوير البرامج

الجيل المتوتر

45

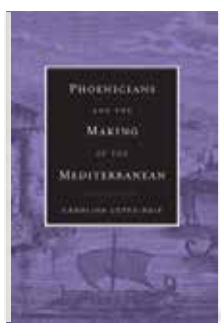

الفينيقيون وحضارة البحر المتوسط

48

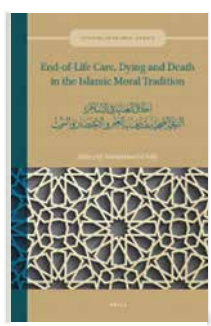

رعاية نهاية الحياة

50

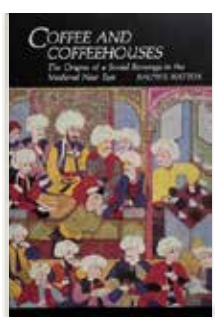

القهوة ومحلات القهوة

54

أسماء الشوارع الاستعمارية

57

الإنسانيات وعوالمها الشاسعة

في الأزمنة القديمة، كان العلمان البارزان بين العلوم الإنسانية أو علوم الإنسان هما الفلسفة والتاريخ. وتحت جناح الفلسفة كانت توضع سائر العلوم بما ذلك الرياضيات والفيزياء والكيمياء والطب والهندسة، إضافةً إلى البلاغة والنحو والآداب، ويوضع المنطق في المقدمة أو التمهيد. وظلَّ علم التاريخ مستقلاً لكن الفلسفة تدخلت في: فلسفة التاريخ أو فكرة التاريخ.

لقد خرجت سائر المعارف والعلوم من عباءة الفلسفة منذ زمنٍ بعيد. ثم حصلت تلك القسمة بين العلوم البحتة والتجريبية من جهة، والعلوم الإنسانية ومنها التاريخ ومنها الفلسفة. وعندما صار علماء الطبيعة والعلوم التجريبية هم السادة، عادوا لمحاكمة "علمية" ماصار يُعرف بالعلوم الإنسانية أو ما يتصل بمسائل التفكير والقضايا العاطفية والنفسية وإنسانية الإنسان المتجلية في تاريخ تجربته في الجماعات والمجتمعات والمدن والدول. وسيطرت على علماء الإنسان هذه الخشية من "اللاعلمية" بحسب مقاييس واختبارات التجريبيين فراحوا يحاولون الاقتراب في العلوم الاجتماعية والنفسية بل والتاريخية من قواعد العلوم ودقائقها وإحصائياتها للحصول على نتائج صادقة بقدر الإمكان!

نحن في السنوات الأخيرة في زمن الثورة المعرفية والعلمية الخامسة، وقد تحررنا من عقدة التجربة العيانية، وعقدة الخوف من سوء التقدير وسوء التدبير بحجة عدم الدقة أو الخشية من الاستطلاع أو استشراف المستقبل. لقد صار هناك مكانٌ وسبلٌ للتفتُّح والتنوُّر واستكشاف مجالات وسرديات واسعة وشاسعة لإنسانية الإنسان، وازدهاره العقلي والمعرفي والقيمي/ الأخلاقي.

هناك رؤىً جديدة لعالم الإنسان ما عاد يمكن التمييز فيها بين المعرفي العقلي أو التأملي، والآخر العملي أو التجريبي، فحتى في هذا المجال الفتي يمتزج العملي بالتأملي بالاعتباري للخروج من أطروحات الإنسان ذي البعد الواحد.

في خضمّ هذا الامتزاج اخترنا للعدد الثامن من مجلة قراءات أربعة عشر كتاباً من عوالم الإنسانيات الشاسعة، ففي مجال إنسانيات الدين هناك ثلاث مقالات هي الأول والثاني والرابع. وفي مجال علاقات الشرق بالغرب، هناك مقالة عن كتاب في الفلسفة والعلوم العربية في عصر النهضة. والظاهرة التي يدرسها المؤلف هي أن بعض علماء أوروبا في القرنين السادس عشر والسابع عشر كانوا يحاولون إخفاء تعلمهم من العلماء العرب في سائر المجالات، وقد طُبعت هذه الكتب باللاتينية مراراً على أن الآراء فيها للإغريق أو الرومان، وإنما العرب منتحلون!

وفي العدد مقالتان عن الهند: كيف غيرت العالم قديماً، ومتغيرات الحياة الوطنية بين الهندوس والمسلمين في الهند بعد سقوط إمبراطورية المغول الإسلامية (1857م).

وفي المقالات الباقية عن الحضارات وعمران العالم ومنتديات القهوة والفينيقيين القدامى، هناك ذلك الانتشار المحبّب الذي لا تُزعج توزعه الكتب الجديدة في ظواهر الحياة المدنية.

لأنه تأخر كثيراً نحن نشعر باعتزاز لأن كثيرين افتقدوا العدد السابع. وسنسعى لكي لا يتكرر ذلك لنظلَّ نحظى بالجديد التركيبي والإبداعي في علوم الإنسان فنخدم في جامعة محمد بن زايد الزاهرة رواد معرفة الرائع والمتقدم.

رضوان السيد

مراجعات الكتب

Books Reviews

المحتوى

الإنسانية الإسلامية

لين غودمان

يقول المؤلف إنَّ كتابه هو نتاج أربعين سنة من العمل الفكري في مجالات الثقافة العربية والإسلامية. بدأ غودمان بحوثه بكتابٍ عن ابن سينا اشتهر كثيراً. ثم كتب كتابه الحاضر عن الإنسانية الإسلامية خلال سنتي تفرغٍ له منذ العام 2001. يمتز ج في الكتاب الدنيوي والعلماني بالديني دون أن يثير ذلك إشكاليات التناقض أو التنافر. والطريف أن المؤلف يبدأ بمُعَلّقة امرئ القيس باعتبارها ممثلة لشكل إنسانوي في العصر الجاهلي، ثم يذهب باتجاه مقامات بديع الزمان الهمذاني، دون أن ينسى الطبري و ابن خلدون والمسعودي وتبدو إنسانية هؤلاء إلى جانب الفارابي ومسكويه والهمذاني في إقبالهم الكتابي على تتبع مجالات العيش في المجتمعات ونقدها دونما خوفٍ أو سقوط في تبعية الرقابة الذاتية. كتاب غودمان كتاب يستحق القراءة بالفعل في هذه العجالة. **قراءة: حيدر حسين صفحة 16**

الديموقراطية والدين

هارتموت روزا

"الديموقراطية تحتاج للدين " هي في الأصل محاضرة ألقاها الفيلسوف الألماني وعالم الاجتماع "Hartmut Rosa" في حفل استقبال بأبرشية فورتسبورغ في 17 يناير 2022، وصدرت في كتاب عام 2023، تتضمن المحاضرة أسئلة وتساؤلات مثل: ماهي المكانة التي يحلتها الدين في المجتمع الحديث؟ وماذا يخسر الدين؟ وماذا تخسر الديموقراطية إذا لم يعد الدين يلعب دوراً؟ وماهي إمكانيات الدين لمستقبل الديموقراطية؟ يمر المجتمع بأزمةٍ خطيرة كما يرى هارتموت روزا، لذلك فهو بحاجةٍ إلى مؤسسات دينية وتقاليد وممارسات فكرية ومعتقدات وطقوس من أجل إيجاد طريق مناسب للخروج من تأزمات الحداثة المتفاقمة على إنسانية الإنسان. بحسب ماكس فيبر فإن معظم المجتمعات التي نعرفها قبل العصر الحديث كانت قائمةً على الاحتياجات، وعندما نتقدم للتعرف على أمر بدافع الفضول نظن أننا نُبدعُ شيئاً وهذا غير صحيح تماماً، فالجديد له أصول في القديم. تتطلب الديموقراطية قلباً مستمعاً وإلا فلن تنجح. والدين هو هذا القلب المستمع، لكن لماذا لم تعد الكنيسة جذابة؟ لابد من اهتمامٍ شديدٍ لكي يعود الدين مهماً في حياة الأجيال الشابة. **قراءة: علي الرواحي صفحة 19**

النجاح والإخفاء: الفلسفة والعلوم العربية خلال النهضة الأوروبية

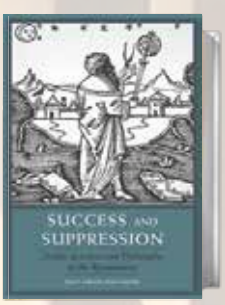

نيكولاس هاس

كتاب نيكولاس هاس: النجاح والإخفاء، الفلسفة والعلوم العربية خلال عصر النهضة الأوروبية. هو كتابٌ جديدٌ في تأثير العلوم العربية على أوروبا في عصر النهضة وما بعد. لكنه يتميز على كتابي سوذرن: صورة الغرب عن الإسلام، ونورمان دانييل: الإسلام والغرب، بأنه يركز على محاولات الأوروبيين إخفاء التأثير العربي الكبير لحساب الأصل والتأثير اليوناني. يركز الكتاب على الطب العربي والفلسفة وجزء من علم الفلك؛ لأن هذه الموضوعات الثلاثة كانت الموضوعات المركزية في نشاطات الترجمة والطباعة في القرنين السادس عشر والسابع عشر، وهو يؤكد على التأثير العربي في النشوء والتطور، وفي الوقت نفسه المحاولة الواعية لعشرات العلماء والدارسين الأوروبيين لإنكار التأثير العربي والهجوم عليه والتماس أصول يونانية لكل المسائل العلمية والفلسفية، مع أن الذي وصل إلى أوروبا النصوص العربية مترجمة إلى اللاتينية في عشرات الحقول العلمية. كتاب طريف ومُفزغ في الوقت نفسه في هول الإخفاء والإقصاء للعرب لصالح تأثيرات وهمية لليونان!
قراءة: محمود حداد صفحة 24

علم الكلام الإسلامي وإشكالية الشر

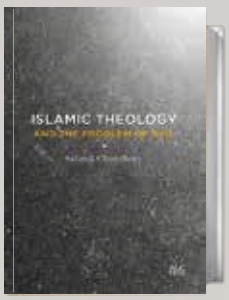

سفروك تشودري

يعالج المؤلف مسألة الشر عبر أربعة مسارات: معاناة الأبرياء (خصوصاً أصحاب الهمم)، وآلام الحيوانات ومعاناتها، والشر ونهاية التطور، وإشكالية وجود جهنم. لا يستغني تشودري عن الجانب النظري لمسالة الشر، ولذلك قدّم بمقدمة ذكر فيها موقف القرآن والتراث الإسلامي. في مسألة آلام الأبرياء. لا يأخذ تشودري بآراء الرازي والبيضاوي وابن كثير والسيوطي الذين رأوا الإعاقة عقوبة، فقال إن ذلك لايقدم تفسيراً شاملاً. وكذلك ماوافق على أنها اختبار وتصفية أو للمصلحة العامة أو للتعلم. استخدم تشودري نظرية التطور لدارون في فهم آلام الحيوان (!). ويناقش تشودري مسألة وجود النار وأبديتها، ويذكّر برحمة الله، وبأنه لا يأتيه عزوجل نفع من العذاب الأبدي. اعتبر القارئ (براين رايت) هذا الكتاب مفيداً جداً لأنه بحثٌ عن مجال جديد في علم الكلام الإسلامي. وقد بذل الكاتب فيه جهداً كبيراً. مشكلة الشر هنا تُطرح بشكل جديد تماماً. ولذلك يستحق الكتاب النظر للاستلهام.

قراءة: براين رايت صفحة 27

مناقشات حول الصداقات الهندوسية - المسلمة بعد الإمبراطورية

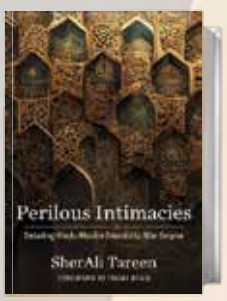

شيرعلي تارين

يقوم مؤلف الكتاب بتتبع الصداقات بين الهندوس والمسلمين من أواخر القرن الثامن عشر وإلى منتصف القرن العشرين. ويعتبر المؤلف ذلك تفاعلاً معقداً بين الهويتين خلال فترة من الاضطرابات السياسية والاجتماعية الكبرى. يوضح المؤلف أنه كان بين علاقات الصداقة قيام المسلمين بترجمة نصوص ودراسات عن الهندوسية، التي صارت أرضية خصبة للنقاش رغم الاختلاف حولها في أوساط المسلمين. كان بين المترجمات نصوص دينية، كما كانت هناك عروض كيف اتخذ المسلمون سلوكاً وعادات هندوسية. ويوضح مراجع الكتاب أن العلاقات أظهرت موضوعات بعثت على انتقادات بين الطرفين بيد أن المسلمين وقد شهدوا بتراجع نفوذهم السياسي، بدأوا يفكرون بالتعاون مع غير المسلمين. وقد نجح الموضوع في ذلك وأدى إلى تمهيد الطريق لعلاقات طويلة، مع أنه كان يتم مع العلماء والفقهاء. أما أصحاب المراكز الدينية من غير المسلمين، فكانت تربطهم علاقات بالمسلمين وغيرهم. **قراءة: هبة أبوخوصة صفحة 30**

الطريق الذهبي: كيف غيرت الهند القديمة العالم

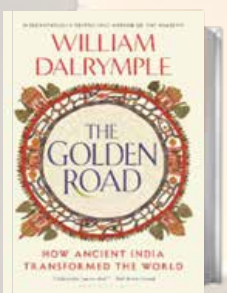

وليم دالريمبل

المؤرخ الاسكتلندي وليم دالريمبل متخصص في تاريخ الفن. نشر سلسلةً من الكتب الشهيرة والمؤثرة أبرزها "المغول البيض" عن الصراعات بين الشرق والغرب، والفوضى عن قصة شركة الهند الشرقية مع الهند و"المثلث الدامي" عن تأثير العداء الهندي - الباكستاني على الحروب في أفغانستان. في "الطريق الذهبي" يطرح دالريمبل موضوعاً جديداً يتعلق بدور شبه القارة الهندية في تاريخ العالم، محاولاً إعادة بناء صورة الهند القديمة ومستحضراً عظمتها من حوالي 250 قبل الميلاد وحتى 1200 للميلاد على طول ما سماه الطريق الذهبي الممتد بين البحر الأحمر إلى المحيط الهادئ، مؤكداً أن الهند وليست الصين كانت الشريك التجاري الأكبر للإمبراطورية الرومانية. يؤكد دالريمبل في كتابه أنه لم يكن هناك ما يُعرف بطريق الحرير في العصور القديمة أو الكلاسيكية وأن الطريق الذي ربط العالم قديماً هو طريق الذهب. وينبه المؤلف إلى ظهور البوذية بعد ديانة الفيدا المتشددة، وكيف انطلقت من الهند لتنشر قولاً فكرياً مزدهراً في الصين واليابان وجنوب شرق آسيا، مع الاقتران بين التغيير الفكري وحركة تجارية مزدهرة. **قراءة: زياد السلامين صفحة 33**

الحقيقة حول قواعد اللغة الإنجليزية

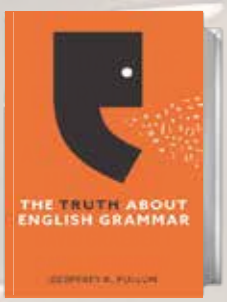

جيفري بولم

يقترح كتاب جيفري بولم بعنوان: الحقيقة حول قواعد اللغة الإنجليزية رؤيةً لغويةً مفادها أن اللغة كيان حي ومتغير ويخضع للتطور وفقاً لمتطلبات العصر واحتياجات مستخدميه. فالنحو ليس مجموعةً جامدةً من القواعد الصارمة، بل هو مجال مرن وقابل للتطور والتطوير. وهناك مذهبان يرى أحدهما ثبات القواعد النحوية، ويرى الآخر تطورها في كل عصر، أما بولم فيرى أن كلا الاتجاهين غير دقيق. ويعرض نموذج أداة الاستفهام المفتوحة (Whose) والذي له عدة استخدامات ولكل استخدام معنى مغاير. فاللغات البشرية ليست أنظمةً بسيطةً ومنظمة تخضع لنظام عالمي من القواعد النحوية، بل هي أشبه بمكتبةٍ واسعة تحتوي على أنواع متنوعة من التركيبات المترابطة. يدعو الكتاب إلى إعادة النظر في النظم التحليلية التقليدية، والاعتراف بالدور المركزي للتنوع اللغوي. كتاب جديد في أفكاره وأطروحاته، ويستحق القراءة. **قراءة: فوزي الغزالي صفحة 36**

بين المساجد: رحلة في بريطانيا المسلمة

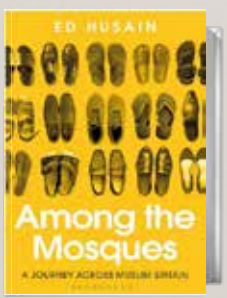

إدي حسين

إدي حسين: باحث بريطاني من أصول أسيوية له كتاباتٌ سابقة في الإسلام. وهو يدرِّس بجامعة جورج تاون، وجاء في رحلة ليدرس وضع المسلمين في بريطانيا الذين سيبلغ عددهم ثلاثة عشر مليوناً عام 2050م. يلاحظ المؤلف الزيادة المطردة في أعداد المساجد في سائر أنحاء بريطانيا. ويزور الكاتب المساجد التسعة المركزية في تسع مدن ويكتب ملاحظاته وانطباعاته. في مدينة ديوسبري يزور المسجد المركزي التابع للديوبندية. وهؤلاء ضد التصوف ولا تدخل النساء المسجد. أما في مدينة مانشستر فالمسجد المركزي يخضع للصوفية، وللنساء طبقة عليا في المساجد. وهكذا وفي سائر الزيارات إما أن يكون الديوبانديون هم الغالبون أو الصوفية. وبين الطرفين عداء شديد. إنما في بعض المساجد يظهر الصراع بين الديوبندية والصوفية وسبق لعددٍ من الباحثين أن حذروا من هذا النزاع في أحاديث ومحاضرات لهم. إن كثافة المساجد المحافظة والأصولية والصوفية ستكون لها آثار إذا تبين أن الجمهور منقسم، وأنه يُغلِّب الصراع ويرفض السلم! **قراءة: سليمان الظاهر صفحة 39**

الأفكار الدينية الخطيرة: الجذور العميقة للنقد الذاتي للإيمان في اليهودية والمسيحية والإسلام

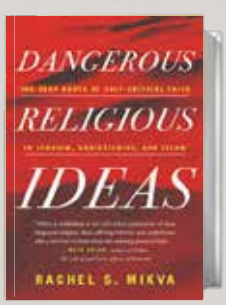

راشيل ميكفا

تشير الكاتبة في مطلع كتابها إلى أنها متخصصة باليهودية. وبالنسبة للمسيحية والإسلام فإنها تعتمد على الدراسات الثانوية. شبهت الكاتبة الأفكار الدينية النافعة بالمعادن النفيسة الموجودة في الطبيعة على هيئات تقتضي عملاً وجهداً في التنقيح والتصفية من الشوائب العالقة بها لاستخلاص النافع والصالح منها. وخصصت الكاتبة آخر مطالب بحثها لتتبع حضور الافكار الدينية في المجال العام الأميركي من خلال مثال العدالة الجنائية. وقد اعتبرت تمهيداً أن "العقل العام" خير من "اللاهوت العام" إذا أردنا الحفاظ على مكاسب التعددية. يشتبه القارئ أنها عندما تناقش بعض ما تعتبره ثوابت إسلامية، تشير إلى أنها أخذت تلك الآراء عن المستشرقين. وفي الوقت نفسه تنوِّه بالنصوص الإسلامية وأسبقيتها في التأسس لقواعد عدلية مثل درء الحدود والحث على الوساطة والصلح عند التنازع. هو كتاب إشكالي، ولذلك فهو يستحق القراءة.

قراءة: خالد ترغي صفحة 43

الجيل المتوتر

جوناثان هايدث

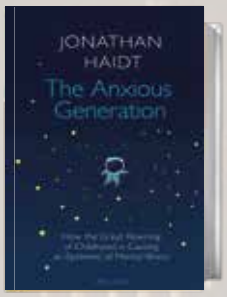

تتعلق القضية التي يعالجها الكتاب بالجيل الجديد وبمدى تأثير وسائل التعليم الحديثة على شخصيته وعلى نفسيته وعلى سلوكه الاجتماعي. ويذكر الكاتب إحصائيات رسمية أُجريت عام 2019 بينت أن خُمس التلاميذ في المدارس الأميركية مصابون أو عولجوا من أمراض نفسية. ومنذ العام 2010 تضاعفت نسبة الإنتحار بين الشابات والشبان. فأجهزة التواصل الاجتماعي المحمولة تصرف الاهتمام عن العلاقات الإنسائية وعن التبادل والتواصل الاجتماعي المباشر. ينتقل الفتى من التعامل مع العالم الافتراضي اللا محدود والوهمي، إلى الواقع فيصاب بخيبة أمل كبيرة. في كتاب نيل بوستمان الصادر عام 1982 بعنوان : اختفاء الطفولة، يتهم المؤلف المراهقين بتقليد كبار السن في ارتكاب الموبقات! يدعو المؤلف إلى دفع الشباب للهواء الطلق .. إلى شواطئ البحر، والملاعب المفتوحة. ويقول المؤلف إنه أجرى التجربة على ابنه عندما زوده بهاتف ذكي وراح يتابع سلوكه وكيف تغير إلى اقصى حد. وبالطبع ليس كل ما ينطبق على نيويورك ينطبق على العالم كله. لكن التجربة تستحق القراءة والمتابعة ولأن مشكلات العالم توشك أن تكون واحدة!

قراءة: محمد السماك صفحة 45

الفينيقيون وتشكيلهم لحضارة البحر المتوسط

كارولينا لوبيز رويز

تدرس الباحثة الأسبانية الحقبة الحرجة والانتقالية من تاريخ البحر المتوسط في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد. وترى المؤلفة أن الفينيقيين هم من أسسوا لهذه الحقبة التي شكلت حضارة دول المدن الساحلية القديمة وهي صور وصيدا وجبيل في لبنان الحالي. أنشأ الفينيقيون شبكة تجارة بحرية بين موانئ البحر المتوسط عززت من تبادل السلع والثقافات والتقاء الأفكار. ووقعت المصالح الاقتصادية وراء التوسع الفينيقي. سعى الفينيقيون للاستيلاء على المناطق الغنية بالمعادن وخاصة النحاس والفضة والحديد بالإضافة إلى الأخشاب والأراضي الزراعية. وقد كانت لنشاطات الفينيقيين جوانب ثقافية إذ ظهرت بواسطتهم أشكال جديدة من الكتابة ساعدت الحركة التجارية على سرعة التواصل والاتصال. تتحدث المؤلفة عن ظاهرة الشرقنة، التي قام بها الفينيقيون فتأثر بها المجتمع الإيبيري ومجتمعات أخرى مجاورة وبعيدة. وتعني الشرقنة زخارف فنية وتقنيات الفخار والأنماط المعمارية الضخمة. وتشمل الباحثة في كتابها الجانب الديني والأسطوري وبخاصة انتشار آلهة فينيقيا مثل عشتروت وأدونيس وبعل.

قراءة: هيثم مزاحم صفحة 48

رعاية نهاية الحياة وأسئلتها الأخلاقية

تحرير محمد غالي

يميل البشر جميعاً إلى الخوف من الموت. كيف يجب على المرء أن يعتني بمريض في مراحله الأخيرة، وهناك أسئلة نوعية مثل لماذا يتم ربط المعاناة بالموت؟ وماذا يحدث للناس بعد وفاتهم؟ وكيف ينبغي ان يتصرف المقربون والأعزاء على الميت عند وفاة أحبائهم؟! أو ماهي التزامات الأحياء تجاه الأموات؟ يهدف الكتاب إلى أن يكون مرجعاً للباحثين المهتمين بمجال رعاية نهاية الحياة، والأخلاقيات الحيوية الإسلامية بشكل عام.

أما القسم الثاني فهو بعنوان : رعاية نهاية الحياة في الدراسات الإسلامية. وفي القسم الثالث بحوث في رعاية نهاية الحياة باعتبارها مسائل ومشكلات أخلاقية في علم الأحياء الحديثة. يعتقد الناشرون أن الخطاب الأخلاقي الحيوي الإسلامي سيستفيد كثيراً من المزيد من الدراسات التي تستخدم أدوات ومنهجيات العلوم الإجتماعية. **قراءة: سيسليا عواد صفحة 50**

القهوة ومحلات القهوة (المقاهي)

رالف هاتوكس

يتناول الكتاب تاريخ القهوة ومكانتها الاجتماعية في الشرق الأوسط خلال العصور الوسطى من خلال المصادر العربية وقصص الرحالة الأوروبيين. بدأ استخدام القهوة في بلاد الشام في العصور الوسطى في منتصف القرن الخامس عشر. ويبدو أن النبتة من أصل يمني، ثم انتشرت سريعاً في المناطق المجاورة مثل الحبشة ومصر، وصارت تستهلك في المجالس الاجتماعية والدينية. وفي القرن السادس عشر شاعت في الامبراطورية العثمانية. وقد اعتبر الناس أنها تعزز التواصل بعد أن صارت رمزاً للضيافة. لقد كانت هناك محاولات فقهية لتحريم القهوة، لكنها لم تنجح. فالقهوة وإن كانت منبهة ليست مُسْكِرة، ولم يثبت أنها تسبب ضرراً للجسد. وفي القرن السابع عشر صارت للقهوة مقاهي، حيث اعتُبرت مراكز ثقافية واجتماعية، ويجتمع من حولها الناس للنقاش وتبادل الأفكار حول الأحداث الراهنة. أثرت القهوة في الثقافات الاجتماعية، وأحدثت مجالات للترفيه. ثم كان ومايزال لها دور في الاقتصاد من خلال تجارة البن الذي انتشرت مواطن إنتاجه في أنحاء العالم بعد إثيوبيا واليمن. **قراءة: محمد السيد صفحة 54**

أسماء الشوارع الاستعمارية

فيرينا أيبرت

يتناول الكتاب موضوعات متعددة ومتشابكة تتعلق بالأسماء الجغرافية وتأثيراتها الثقافية والسياسية، ويقدم تحليلاً شاملاً للمناهج التاريخية والثقافية المتبعة في دراسة هذه الظاهرة. أسماء الشوارع قد تكون أدوات تعريفية بحتة. وقد تكون لها أهداف تتعلق بالذاكرة التاريخية. لكنها قد تكون أدوات للهيمنة الاستعمارية خاصة أسماء العَلَم التي تعكس القوى السياسية التي قامت بتسميتها. استخدمت أيبرت المنهج الوصفي لتقديم تفاصيل دقيقة حول الأسماء والممارسات التسموية معتمدةً على مجموعة واسعة من المصادر التاريخية. وفي هذا الصدد يقدم الكتاب تحليلاً شاملاً للأسماء الاستعمارية للشوارع. ويُظهر التوزيع الجغرافي لهذه الأسماء عبر المدن الألمانية الكبرى والصغرى الأهمية الثقافية والسياسية للمستعمرات في تشكيل الوعي الوطني الألماني. في أعقاب الحرب العالمية الثانية شهدت ألمانيا وغيرها من الدول المتأثرة بالنازية والاستعمار عملية تحول جذرية في المشهد الثقافي والاجتماعي. فجاءت إعادة تسمية الشوارع والميادين العامة جزءاً لا يتجزأ من هذا التحول. وللكتاب أهمية خاصة في إبراز ذلك. **قراءة: سلطان المعاني صفحة 57**

المرأة الإماراتية وهي تؤدي الأشغال اليدوية (السدو).

من الأرشيف والمكتبة الوطنية لدولة الإمارات العربية المتحدة

تنظيم المؤتمر الدولي الأول لحوار الأديان في العاصمة الأثيوبية أديس أبابا

5 نوفمبر 2024

شاركت جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية في أعمال المؤتمر الدولي الأول لحوار الأديان، الذي نظَّمته بالتعاون مع وزارة السلام الأثيوبية ومجلس الأديان في العاصمة الأثيوبية أديس أبابا يومي 4 و5 نوفمبر 2024، بحضور وزراء وسفراء وشخصيات دولية من مختلف الأديان.

وفـر المؤتمر منتدى مفتوح للحوار بشـأن تعزيز التفاهم بين الأديان، ونشـر قيم التسامح والسلام، ودعم المواطنة الشاملة، ما يتسق مع تجربـة دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة في تـرسـيخ العيـش المشترك وبنـاء جسور التعاون بين الثقافـات المخـتلفة.

الإنسانية الإسلامية
Islamic Humanism

لين غودمان

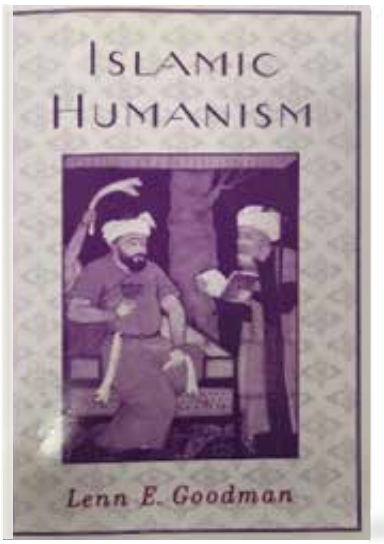

قراءة حيدر حسين
عضو الهيئة التدريسية
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

يقول المؤلف في مقدمة هذا الكتاب: "إنه نتاج أربعين عاماً من دراسة الفكر والثقافة العربية والإسلامية". حيث كتب مقالاته الأولى عن الغزالي وابن خلدون وابن طُفيل في ستينيات القرن الماضي. كما كانت بداياته ورحلته الطويلة مع موسى بن ميمون وإخوان الصفا في السبعينيات من نفس القرن، وكذلك كانت له العديد من الدراسات المتخصصة والمقارنة في الفلسفة والأدب العربي والعبري والإسلامي في الثمانينات. في التسعينيات، نشرغودمان كتاباً عن ابن سينا، وهو إنجاز فلسفي عن أحد أعظم الفلاسفة المسلمين، وبدأت كتابات المؤلف بعدها عن تاريخ العالم العربي والتي انعكست في الفصل الرابع من هذا الكتاب. لقد أُلف هذا الكتاب "الإنسانية الإسلامية" خلال سنتي التفرغ الأكاديمي للمؤلف والذي بدأ في عام 2001. وبدعم من زمالة من المؤسسة الوطنية للعلوم الإنسانية ومنحة بحثية تكميلية من جامعة فاندربيلت بولاية تنسي.
لقد كتب المؤلف هذا النص الرائع ببلاغة فائقة وهي محاولة متطورة لإبراز بعض المواضيع المميزة للفكر الأخلاقي المتاصل في الإنسانية الإسلامية.
يحتوي الكتاب على مقدمةٍ واسعةٍ جداً غنية بالمعلومات التي تكاد تنشر لأول مرة عن المفاهيم والقيم الإنسانية والتي تم عرضها بقوة أكاديمية إبداعية اتسمت بالوضوح والبصيرة حيث يؤكد المؤلف على موضوع الإنسانية الإسلامية وهو الموضوع الذي يستحق بالتأكيد اهتماماً أكاديمياً أكبر حيث إن نصاً من هذا النوع يجب ألا يجذب فقط المتخصصين في العلوم الإسلامية الكلاسيكية، ولكن أيضاً لجمهور اكثر عمومية يرغب في تذوق اندماج القوى الفكرية والأخلاقية والدينية التي شكلت تعبيرات المسلمين عن إيمانهم بشكل لايمحى مع وضوحها وفقاً لمفهوم الإنسانية الإسلامية.
تحتوي المقدمة على 29 صفحة ويحتوي الكتاب على أربعة فصول. يستكشف المؤلف فيها التفاعل بين الموضوعات المقدسة والعلمانية في الأدب العربي والعقيدة الإسلامية. فهو يبدأ ببعض الأفكار حول ماهو مقدس وما هو دنيوي بشكل عام، ويركز على تفسير القرآن الكريم ثم ينتقل الى الشعر والموسيقى العربية، ومواقف المسلمين واستجاباتهم لتلك العناصر من خلال الثقافة الإسلامية. إنه يتحدث عن اللباس الإسلامي، ومظاهر الترف، والعروض الفخمة للثروة والجاه والقوة التي تكون الملابس والبذخ جل معالمها.
ففي الفصل الأول من هذا الكتاب يتطرق المؤلف إلى فكرة تاليف هذا البحث والتي ولدت من جنين كرسي هالموس للأدب العربي في عام 1988. والتي إقترحها البروفيسور ساسون سوميخ، الذي كان يشغل كرسي هالموس وهو صديق للمؤلف منذ مرحلة دراسة الدكتوراه في جامعة أكسفورد والذي شجع ودعم هذا المشروع الذي أدى إلى تأليف هذا الكتاب القيم.
يقول المؤلف: "لقد بدأت العمل المتعلق بالتفاعل بين المواضيع المقدسة والعلمانية في الأدب العربي في إطار زمالة في مركز الشرق والغرب في هونولولو، ونشرت نسخة مبكرة في كتاب مستنصر مير لجيمس أ. بيلامي حيث تمت مراجعة المقالة الأساسية وتوسيعها كثيرًا هنا في هذا البحث". بينما ينبثق الفصلان الثاني والثالث من المقالات التي كتبها المؤلف إلى برايان كار وإنديرا ماهالينجام، مؤسسي مجلة الفلسفة الآسيوية ومحرري الموسوعة المرافقة للفلسفة الآسيوية.
يعتب هذا الفصل مهما جداً لتطرق المؤلف فيه إلى كل ماهو مقدس وعلماني ضمن مفهوم الإنسانية الإسلامية مثل الشعر والموسيقى، الإنسانية والأحلاق الإسلامية، الإسلام والأخلاق بين النظرية والتطبيق، والمعرفة كقيمة مهمة في حياتنا. فهو يتحدث عن الاحتفال بالحب كقيمة علمانية تجد مكانًا بارزًا في الأدب الديني الإسلامي، وليس فقط كمجاز أو مسعى غامض، ولكن أيضًا كثقل موازن لذلك المسعى، الذي حدده علماء الدين والفقهاء المسلمون.
كما تضمن هذا الفصل ترجمة خاصة لما يُنظر إليه على نطاق واسع على أنه أفضل قصيدة في عصر ما قبل الإسلام، وهي معلقة امرئ القيس. القصيدة التي تلخص

روح العصر الجاهلي ببراعة. لقد أصبحت هذه القيم نموذجًا ومثالاً لبعض المفاهيم التي قد يتعامل معها المسلمون، سواء كانت روحهم تميل إلى الجانب المقدس أو العلماني في الحياة، أو نحو أنماط التوليف المختلفة التي يمكن من خلالها أن يتشابك الاثنان معاً. وفي نهاية هذا الفصل ينتقل المؤلف إلى الهمداني وعينة من مقاماته، وهي البيكاريسك المبهجة والساخرة التي تتنبأ بنكهة سرفانتس، وبوكاتشي، وتشوسر.

أما الفصل الثاني فقد خُصص للأخلاق الإسلامية. فهو يتحدث عن النصوص والسياقات التي تم فيها توضيح المعايير والقيم الأخلاقية الإسلامية بشكل كلاسيكي، في الكتب المقدسة والتقاليد واللاهوت والقانون والأدب والتصوف والفلسفة. فعلى المستوى النظري، يتناول الفصل المعالجات اللاهوتية للفاعلية الأخلاقية والمسؤولية. أما على مستوى الممارسة، فهو يدرس عمل المحتسب، مفتش السوق، والقواعد الموضوعة لتطبيقه، والتي كان المقصود منها التعبير عن القيم الإسلامية في سياق الحياة اليومية. ويتناول هذا الفصل بعض جهود الفقهاء والفقهاء المسلمين لإضفاء الطابع المؤسسي على الالتزام القرآني بفرض الآداب ومفاهيم وقيم الإنسانية الإسلامية.

وفي الفصل الثالث يتحدث المؤلف عن الميتافيزيقا ونظرية المعرفة وكما هو الحال في الفصل السابق، حيث يبدأ بالقرآن الكريم والفقه الإسلامي ويأخذ في الاعتبار آراء الأدباء الإنسانيين مثل مسكويه والهمداني حول طبيعة المعرفة، على سبيل المثال لا الحصر. يقول المؤلف: " إن الرؤى الفردية والمشتركة وحتى الافتراضات مثيرة للاهتمام ومفيدة هنا، لكن الميتافيزيقا ونظرية المعرفة، في النهاية، تتطلب جهود المتخصصين". ويُخصص معظم هذا الفصل لآراء وحجج الفلاسفة - وردودهم على الفلسفة اليونانية ضمن إطار النصوص التي قرأوها والتي هي مترجمة إلى اللغة العربية، حيث اجتمعت جهودهم لصياغة توليفة من القيم التي وجدوها أكثر مصداقية عند التقاء التقاليد الفلسفية اليونانية والعربية.

فالمشكلة الأساسية يقول المؤلف: " تتمحور حول ضرورتها أو صدفتها، أو الخلود أو الخلق كما أن المشكلة الأساسية في المعرفة هي إمكانية النظرية، أو الحقيقة الضرورية، كما كانت تسمى تقليديًا، أو التعميم الشبيه بالقانون في اللغة الأكثر اعتذارية وهي المستخدمة اليوم" . فهذه القضايا لا تزال حية، وقد صاغها كبار المفكرين المسلمين أمثال الكندي، الرازي، الفارابي، ابن سينا، والبقية لا يزالون يتحدثون إلينا. لقد تناول المؤلف الأدب العربي، في هذا الكتاب؛ لأنه بذرة فردية الروح والتي تعتبر حاسمة بالنسبة للإنسانية من أي نوع آخر، ولأن الثقافة الأدبية (كما عرفها مسكويه) هي مصدر وناقل لقيم التهذيب والتأمل والانفصال والانعزالية وهي أساس النقد الأخلاقي، وتنمية الذات.

وهنا يقول المؤلف: "إنني أتعامل مع الأخلاق لارتباطها القوي بالمشروع الإنساني بشكل عام، وللارتباط الخاص جدًا بين الأخلاق الفاضلة وبين ذلك المشروع. أنا أتعامل مع الدين الإسلامي لأن نقاشاته تكرس قيم الحضارة، بما في ذلك العديد من القيم الإنسانية والتي تتمحور حول المسؤولية الأخلاقية الفردية والجماعية، فعلى سبيل المثال، أن الفكرة القديمة والتي تمثلها (الرواقية والأرسطية) والتي تقول: "يمكن لأفعالنا أن تعزز أو تقلص درجات الحرية لدينا".

وهنا يقول المؤلف: " ليس قصدي من هذه العينة المختصرة التي يمكن أن يحتويها هذا الكتاب أن أحاول التوفيق بين جميع الأطراف التي نجدها متنازعة، أو الفصل فيما بينها. قد يشكل بعض هذا العمل أجندة للعاملين في المستقبل في علوم الفلسفة سواء كان الباحث مسلماً أوغير مسلم (نظرًا لأن المشاكل ذات أهمية عالمية) ويجب على الجميع إيجاد صيغة ناجعة ضمن مفاهيم القيم الإنسانية والتسامح والانفتاح على الرأي الآخر.

وفي الفصل الأخير من الكتاب، الذي هو عبارة عن مسح موسع لنمو التاريخ العربي العالمي، ذلك النوع المميز من التأريخ الموثق والذي يتتبع الأحداث التاريخية منذ الخلق وحتى عصرنا هذا. فهذا الفصل يعكس قليلاً من المشاكل التأريخية ولكن بشكل عام ويصف تطور الكتابة التاريخية العربية من أقدم الروايات القصصية الموثقة، التي تنسب إلى السجلات الكبرى من أمثال الطبري وآخرين، إلى الأعمال الموسوعية والاستطرادية الكبيرة للمسعودي، إلى مقدمة ابن خلدون المعروفة، والتاريخ العالمي لرشيد الدين. وهنا يبرز ابن خلدون بين المفكرين الكبار الذين سعوا إلى إيجاد معنى للتاريخ، ليس في حماسة الغزو المطلقة، ولكن في أنماط الحياة البشرية، وصعود وانحدار وسقوط السلالات والأنظمة.

إن النزعة الإنسانية التي تناولناها في هذا البحث ليست هي نفس النزعة الإنسانية في القرن الرابع عشر، ولا هي النزعة الإنسانية للعلمانيين في القرن العشرين. فحتى الرازي، وهو طبيب ومتشكك في الوحي الخاص، هو مؤمن ومؤمن بالخلق.

يقول المؤلف هنا: "أنا أعتبره إنسانيًا بسبب استقلاليته العقلية، وتأكيداته المذهلة حول التقدم والفردية والمساواة الفكرية". وكما هو الحال مع مسكويه، الذي يمتاز بقيمه اللطيفة والحرفية، وأذواقه المتنوعة، واهتمامه العملي بالماضي، والتزامه بالشخصية وصقلها. يقترب من نموذج النهضة الذي يتوقعه من نواح عديدة. لكنه أيضًا هو مسلم ملتزم، وقيمته بالنسبة للمسلمين اليوم ليس بسبب أخلاقه المقتضبة بقدر ما هو لإظهار طريقة أخرى يرتبط فيها الالتزام بالإسلام بقيم تختلف عن تلك التي تدعي التمسك بالأخلاق الإسلامية لكن في المظهر الخارجي

فقط.

إن الإنسانية الإسلامية ليست علمانية في العادة. وحتى الهمذاني، وهو أكثر المؤلفين المسلمين تواضعًا، ملتزم بالجدية الإسلامية بطريقته الخاصة، كما نرى في الفصل الثالث. ومثله مثل العديد من العلماء والفلاسفة والمفكرين الساخرين، بدءًا من أريستوفان فصاعدًا، فهو كان محافظًا إلى حد ما في وجهة نظره. وهنا نستطيع أن نقول إن المقامات تلعب دورًا حيويًا، بعيدًا عن بهجتها الورقية، في فضح الادعاءات وفضح النفاق.

ولعل جزءًا مما يربط شخصيات مثل مسكويه والفارابي وابن سينا والهمداني وابن طفيل وابن خلدون هو قدرتهم على فحص التقليد الذي يعيشون فيه، والنظر إليه بتعاطف ونقد، واختيار القيم والأخلاق الفاضلة وتطويرها ودمجها مع الأفكار التي تساعد على فهم الإنسان ونموه وتطهير ذاته حيث يتم تناول التقاليد القديمة وفحصها بلهفة ودمجها مع الأفكار التي تُلتهم بتلذذ، لتتوافق مع القيم والأعراف النبيلة ضمن مفهوم الإنسانية الإسلامية. فالتاريخ الإسلامي عريق وغني ورائع وهذا الكتاب لا يقدم وصفة طبية. إنها ليست وصفة جاهزة لأن أسلوب الحياة يحتاج إلى أن يُبنى عبر الأجيال، وأن ينشئه الأفراد والمجتمعات، وليس فقط أن يتبناه شخصاً ما. إن أولئك الذين يصنعون الطريق هم الذين يحددون في النهاية إلى أين سيقودهم.

وهنا يقول المؤلف: "إن أبحاثنا في التاريخ الإنساني للإسلام تكشف عن أفكار وموارد جديدة وقيمة للغاية ولربما تكون في خزائن نفيسة لم تكتشف بعد. أننا سنتتبع تلك الخيوط التي رسمت التأريخ الإسلامي العريق لنؤكد على عمق وأصالة الإنسانية في الإسلام".

الديموقراطية والدين
Demokratie Braucht Religion

هارتموت روزا

قراءة علي الرواحي
باحث في الفلسفة ودراسات الأديان – سلطنة عمان

في كتابه الأخير "الديمقراطية تحتاج للدين" "Demokratie Braucht Religion" الصادر بالألمانية 2023م، والذي هو عبارة عن محاضرة ألقاها في حفل استقبال أبرشية فورتسبورغ في 17 يناير 2022م، يطرح الفيلسوف وعالم الاجتماع الألماني هارتموت روزا Hartmut Rosa، أسئلة مختلفة حول الدين في العصر الحديث، مثل: ما هي المكانة التي يحتلها الدين في نسيج المجتمع الحديث؟ وماذا يخسر المجتمع، وماذا تخسر الديمقراطية إذا لم يعد الدين يلعب دوراً فيه؟ ما هي إمكانات الدين لمستقبل الديمقراطية؟ وهل من الحكمة حقاً أن نتخلى عن كنز الدين الغني؟ وهل يحتاج مثل هذا المجتمع بالفعل إلى مؤسسة مثل الكنيسة؟ وهل الكنيسة في النهاية هي بقايا لشكل مختلف من المجتمع وأيضاً لشكل مختلف من العلاقة بالعالم؟ أم أن ذلك مجرد مفارقة تاريخية؟ تبدو الإجابة السريعة بالإيجاب، حيث لم يعد هذا الواقع يتناسب مع عصر التدين الذي نعيشه، كما أن كل شخص يبني بطريقة أو بأخرى رؤيته للعالم، وأصبحت لدينا على الأقل تعددية دينية، كما توجد هناك العديد من الأصوات المختلفة التي تقدم تفسيرات متنوعة جداً.علاوة على ذلك، نجد أن هناك مجموعة متنوعة من القرابين الدينية، التي تدخل في باب الخرافات.

بالإضافة لذلك، وفي الجانب السياسي لا ينبغي للدولة أن تولي أي أهمية خاصة للمؤسسات الدينية المنظمة لأنها تنتهك شرط الحياد: لماذا لدينا يوم أحد إذا كان يوم الأحد مقدساً للمسيحيين فقط، ولكن يوم الجمعة هو يوم مقدس للمسلمين، والسبت لأتباع الديانة اليهودية، وأي أيام أخرى لأتباع الديانات الأخرى؟ ألا ينبغي على الجميع أن يتحرروا إذا أرادوا أن يتحرروا؟ هذا هو المكان الذي يبدأ فيه الأمر. وبالطبع يمكنك طرح نفس السؤال في عيد الميلاد وعندما يتعلق الأمر بالمدرسة: لماذا يوجد الدين الكاثوليكي كمادة مدرسية، ولكن ليس الهيبيز أو الهييجي hygge؟ بشكل مستمر تطرح هذه الأسئلة ويتم طرحها ومناقشتها وبشكل خاص في علم الاجتماع الذي يرى بأن الكثير من الأشياء والأفكار والرموز تعيش في أزمة في الفترة الحاضرة، حيث من الممكن أن تلعب الكنيسة دوراً مهماً جداً في هذا المجتمع، وبشكل خاص في مجتمع يعيش حالة جمود محموم لاهث، وهو ما له ثمن باهظ جدًا، لأننا نلاحظ أن هذا المجتمع يبحث بشدة عن شكل بديل للتواصل مع العالم، وللوجود في العالم. وأين يمكن لهذا المجتمع أن يبحث عن أشكال أخرى من الارتباط بالحياة، حتى بالكون، بالطبيعة؟ أين نجد هذا الخزان البديل؟ ربما تكون الكنسية أحد هذه الإجابات.

في مقابل ذلك، يمكن للمرء أن يزعم أن الكنيسة قد تكون عاملاً مدمراً للمجتمع، لأن الإصرار على اعتبار أيام الأحد يوم عطلة هو ببساطة عيب في المنافسة الاقتصادية العالمية. وإذا كانت هناك مخاوف مستمرة من عدم استخدام الخلايا الجذعية في الأبحاث، فإن هذا يعد أيضاً عيباً في المنافسة العالمية. ثم نتراجع، ويستمر هذا الرأي، ومن ثم يمكن للمرء أن يقول: الكنيسة مفارقة تاريخية لا تتناسب مع المخزون الأيديولوجي ولا مع التفسير الذاتي للمجتمع الحديث. هذه هي الطريقة التي يمكننا بها أولاً التعامل مع الأسئلة الذي طرحت في البداية.

لكن المجتمع يمر بأزمة خطيرة كما يرى هارتموت روزا، لذلك فهو بحاجة إلى مؤسسات دينية وتقاليد وممارسات وهياكل فكرية ومعتقدات وطقوس من أجل إيجاد طريق مناسب للخروج. فالمجتمع يفتقر بشكل كبير إلى القلب المستمع - من الناحية السياسية وفي جميع أنواع الطرق الأخرى أيضاً. ولهذا السبب نحتاج إلى أفكار وممارسات وما شابه ذلك توضح لنا ما قد يعنيه ذلك في الواقع، أي امتلاك قلب مستمع، حيث يمكننا بالتأكيد أن نجد عناصر الإجابة على هذه الأسئلة في السياقات الدينية.

الأمر الذي يعني بأننا بحاجة لتسليط الضوء بعمق على المجتمع، حيث يرى البعض إن المجتمع غير موجود على الإطلاق، ولكن هناك أحداث وعمليات سياسية ومؤسسات اقتصادية ودينية وقانونية ورياضية، وكلها موجودة جنباً إلى جنب. ومع ذلك، يعتقد روزا أنه يمكن وصف وتعريف المجتمع كأفراد متميزين، وأن هناك ما يشبه الكل، أو المجموع، تعمل فيه مختلف المؤسسات والأشخاص معاً

ويؤثرون على بعضهم البعض. فالتعريف الأساسي للمجتمع الحديث يمكن اختصاره بمصطلح الاستقرار الديناميكي Dynamischen Stabilisierung. حيث يكون المجتمع حديثاً إذا كان قادراً فقط على تحقيق استقرار نفسه ديناميكياً، أي إذا كان يعتمد بشكل منهجي وهيكلي على التحسين الدائم من أجل إعادة إنتاج نفسه والحفاظ على الوضع المؤسسي الراهن. وهذا لا يعني أن المجتمعات السابقة لم تكن تتسارع، بل كانت تتسارع بطريقتها الخاصة المختلفة عن المجتمعات الحالية.

غير أن الشيء المميز في هذا التعريف ليس أن المجتمع ينمو، على سبيل المثال من حيث عدد السكان أو الإنتاج الاقتصادي، أو أنه يتسارع في كثير من النواحي، ولكن يجب أن يحدث ذلك من أجل الحفاظ على الوضع الراهن. يمكننا فهم ذلك بسهولة مع ماكس فيبر، الذي يقول إن معظم المجتمعات التي نعرفها قبل العصر الحديث كانت قائمة على الاحتياجات. حيث كان لديهم إحساس دقيق جدًا بما يتطلبه البقاء على قيد الحياة، فالاحتياجات كلها تتلخص في هذا القدر من الخبز أو هذه الكمية من الحبوب لتمضية فصل الشتاء؛ الكثير من الوقود، ومنزل جيد، وبعض الملابس. وبطبيعة الحال، ما نحتاجه لا يشمل فقط المنزل والطعام والملبس، بل ما نحتاجه الآن أيضاً، حسب السياق التاريخي الثقافي، للعبادة الدينية، أو للطقوس، أو للمعبد، على سبيل المثال، أو للكهنة. وهذا يعني أن هناك إحساساً بما تحتاج إليه، وبالطبع يتغير ذلك تاريخياً.لماذا يتغير؟ يرجع ذلك جزئياً إلى الظروف البيئية، أحياناً يكون هناك عدو عند الباب، وأحياناً يتغير المناخ، وأحياناً تصبح بعض المواد الخام التي أحتاجها نادرة. كل هذا يؤدي إلى الابتكار وبالطبع هناك أيضاً حقيقة أن الناس أيضاً فضوليون، ويريدون تجربة أشياء جديدة، وفجأة يكتشفون شيئاً مثيراً، وإذا كان ذلك جيداً، فغالباً ما يتم تنفيذه كابتكار ثقافي، على الرغم من أنه ليس كذلك دائماً.

فعدم التركيز على النمو بالرغم من أننا بحاجة إليه لن نتمكن من الحفاظ على البنية الاجتماعية القائمة بأكملها. فإذا قررنا الآن أننا لم نعد نريد النمو، فلن يكون لدينا فقط الكثير من العاطلين عن العمل والشركات المغلقة بين عشية وضحاها، بل ستنخفض أيضاً عائدات الضرائب للدولة، ولكن في نفس الوقت ستزداد النفقات لأنه، على سبيل المثال، وعلينا أن نعيد النمو مرة أخرى، ولكن قبل كل شيء لأنه يتعين علينا أن ندفع أجور العاطلين عن العمل.وحينها لن نتمكن من دفع معاشات التقاعد، ولن نتمكن من الحفاظ على النظام الصحي، وسوف يعاني قطاع الرعاية بالكامل من نقص التمويل بشكل كبير، أو لم يعد من الممكن دفع تكاليف المؤسسات الثقافية .الأمر الذي يجعلنا - كما يرى روزا - في علاقة عدائية مع العالم لأنه يتعين علينا استغلاله وجعله قابلاً للاستخدام من أجل تحقيق النمو .لكن هذا العدوان موجه أيضاً ضد أنفسنا من خلال التحسين المستمر للذات الذي يرهقنا. والعدوان موجه أيضاً ضد الآخرين. حيث لم يعد يُنظر إلى الأشخاص ذوي وجهات النظر المختلفة على أنهم محاورون من أجل فهم وجهات نظر بعضهم البعض وتمثيل آرائهم في مواقف متبادلة، بل يُنظر إليهم على انهم منشقين، و"أغبياء" أو "خونة للشعب" وعليهم "أن يبقوا أفواههم مغلقة".

والسؤال هنا، كيف يمكن للروحانية أن تثري الديمقراطية؟

تكمن أهيمة هذا السؤال في أن الكنيسة وبالتالي الدين بشكلٍ عام لم يعد لها ذلك الحضور في العالم الغربي، وبالرغم من ذلك سعى روزا لوضع أهمية جديدة للكنائس في التيار الأكبر للروحانية، حيث من المرجح أن يبحث الكثير من الناس عن تجارب مختلفة أكثر من الكنائس. على الرغم من أنه أدلى بملاحظة مفادها أن ممارسات العصر الجديد تتمتع أيضاً بهذه الشعبية بسبب الشوق إلى الصدى، إلا أن السؤال يظل هو لماذا يبحث الناس عن الصدى في أماكن أخرى وليس في الكنيسة. خاصة إذا كانت الكنائس تريد أن تصبح قوة تعزيز صدى في المجتمع، فيجب إصلاح الكنيسة بشكل أساسي. ومع ذلك، يقدم هارتموت روزا في عمله هذا العديد من الاقتراحات القيمة للخطاب حول أهمية الدين والروحانية للديمقراطية.

وفيما يتصل بالديمقراطية، فإن روزا يشير عن حق إلى التغير الذي طرأ على الثقافة السياسية، الأمر الذي يعني أن فرص الفهم والبحث المعقول عن الحلول في المناقشات العامة أصبحت تتضاءل يوماً بعد يوم. وبطبيعة الحال، لن يكون التفاهم ممكنا إلا إذا استمع الناس لبعضهم البعض، وتفاعلوا مع بعضهم البعض، واعتنوا بمصالح بعضهم البعض، وبحثوا عن حلول على هذا الأساس، كما يتابع فرضية مفادها أن الكنائس على وجه الخصوص هي التي يمكنها المساهمة في تعزيز ثقافة الاستماع لبعضهم البعض.

ولهذا السبب يقول روزا بأن الديمقراطية تتطلب قلباً مستمعاً، وإلا فلن تنجح .لكن مثل هذا القلب المستمع لا يهبط من السماء؛ في الواقع، فمن الصعب بشكل خاص تبني هذا الموقف في مجتمع عدواني. فالأطروحة هنا هي أن الكنائس على وجه الخصوص هي التي لديها روايات، وخزان معرفي، وطقوس وممارسات، ومساحات يمكن فيها ممارسة القلب المستمع وربما تجربته أيضاً، وهي من الممكن أن تساهم في التخفيف من أزمة الإيمان وأزمة الديمقراطية معاً.فالتوقف كم يستعير روزا من برونو لاتور والتي تعتبر من كلماته المفضلة، والتي تشير إلى أنه بينما أعمل على قائمة المهام اليومية، وأرهق نفسي في عجلة الحياة، فإني بحاجة إلى التوقف، والاستماع إلى الأعلى، وإلى الخارج، والسماح لشيء

آخر أن يتصل بي ويوصلني لصوت آخر يقـول شـيئاً مختلفاً عمـا هو موجود في قائمة المهام الخاصة بي وما هو متوقع على أي حال ويتكون من تبادل وظيفي، إذا جاز التعبير.

فالديـن - بحسـب روزا - لديـه هـذه المساحات بالفعل، أو على الأقل أنه يهدف بشكل أساسي إلى توفير مثل هـذه المسـاحات. إنـه يحتـوي علـى العناصـر التـي يمكـن أن تذكرنـا بـأن العلاقة مع العالـم مختلفة عن تلك التـي تهـدف إلـى الزيـادة والإنتاجيـة والتسـارع واللهاث المحمـوم. ومن الممكـن أن نجـد ذلـك فـي مفهـوم الزمن الذي يختلف عن مفهوم الزمن كمـورد اقتصـادي الـذي لدينـا هنـا. مفهوم الفضاء مختلف أيضاً: عندما تذهب إلى الكنيسـة أو دار العبادة، لا يوجد هناك شـيء يمكنك توفيره، إذا جاز التعبيـر، أو يمكنك التحكم فيه أو السيطرة عليه. لا يجد وضع العدوان أي هدف على الإطلاق.

ففي هذا السياق، من الممكن القول إن الشـوق إلى مثل هذه الأصداء في المجتمـع مرتفـع بشـكل لا يصدق، ويتجاوز بكثير السياقات الدينية، حيث يبحـث النـاس عـن أصـداء لهـذه التجارب في الحجارة والأعشاب، وفي الجـداول والجبـال وفـي النجـوم، ويريدون اسـتعادتها فيهـا أو منها"، فهنـاك علاقـة مـا بيـن البشـر وبين الحجـر الكريم كما يـرى الكثير، أو بين الإنسـان وبين زهور بـاخ أو بيني وبين المـاء العلاجي. كما يرى البعض بأنه يجـب أن أحمـي نفسـي مـن العيـن الشـريرة وأشـعة الأرض الغامضة، وعين الحسـد أيضاً. هـذه كلها أفكار لهـا صـدى ورنيـن. ومـن الممكن أن يكون السـبب وراء اسـتمرار انتشـار وشـعبية علـم التنجيم والأبـراج التي تعتبـر غيـر معقولـة من وجهـة نظر فلكيـة، لكنها تقدم نماذج تفسـيرية جيـدة، كما يشـعر الكثير مـن الأفراد بجاذبية كبيرة تجاهها.

جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية من أولى الجامعات في الدولة التي بادرت لتفعيل منظومة التعلم الهجين تماشيا مع متطلبات التعليم المستقبلية.

Mohamed Bin Zayed University for Humanities was one of the first universities in the country to activate the hybrid learning system in keeping with the latest trends in the education sector.

مبادرة هوية أصيلة وإرث مستدام

23 ديسمبر 2024

أطلقت جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية مبادرة «هُوية أصيلة وإرث مستدام»، بهدف تعزيز الوعي بالتراث الإماراتي وربطه بمبادئ الاستدامة الثقافية والاجتماعية.

وتندرج هذه الخطوة في إطار استراتيجية الجامعة لدعم الجهود الرامية إلى حماية الهُوية الوطنية عبر الأجيال، ما يتماشى مع رؤية دولة الإمارات في الحفاظ على أصالتها وترسيخ موروثها الحضاري.

تضمَّنت المبادرة سلسلة من الفعاليات والبرامج التفاعلية التي تهدف إلى تمكين الطلبة من استكشاف الهُوية الوطنية الإماراتية وفهم معانيها العميقة.

النجاح والإخفاء

الفلسفة والعلوم العربية خلال النهضة الأوروبية

Success and Suppression

Arabic Sciences and Philosophy in the Renaissance

نيكولاس هاس

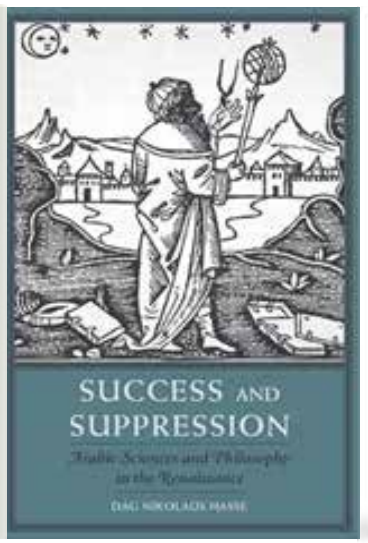

قراءة محمود حدّاد
أستاذ التاريخ الحديث في
جامعة البلمند - لبنان

النهضة الأوروبية: هل اعتمدت على العلوم العربية أم انفصلت عنها؟

لا شك أن موضوع نظرة الأوروبي، أكان شخصا عادياً أم عالماً ومثقفاً كبيراً في علم من العلوم، إلى كل ما يمت بصلة إلى العرب والمسلمين ونتاجهم الفكري أو المادي، موضوع كُتب عنه الكثير في الغرب ولعل أهم كتابين في هذا المجال كانا كتاب ر.دبليو. سوذرن المعنون: صور الغرب عن الإسلام في العصور الوسطى،"Western Views of Islam in the Middle Ages"، وكتاب نورمان دانييل: الإسلام والغرب: في صناعة صورة عامة،"Islam & the West: The Making of an Image"

وبينما كان هناك اهتمام كبير في أوروبا بصورة الإسلام في القرون الوسطى والحديثة، فان هذا الاهتمام والتحقيق حوله لم يكن على نفس المستوى في حقبة النهضة الأوروبية. من هنا أتى كتاب "النجاح والإخفاء: العلوم والفلسفة العربية خلال النهضة الأوروبية" لمؤلفه داغ نيكولاس هاس، الصادر عن مطبعة جامعة هارفرد الأميركية ليغطي هذه الفجوة.

النقطة الرئيسية التي يتمحور حولها الكتاب تكمن في السؤال عما إذا كانت العلوم والفلسفة الغربية خلال النهضة الأوروبية قد تأثرت بالفلسفة والعلوم العربية - الإسلامية كما اللاتينية، أم أنها انفصلت عن هذه الفلسفات والعلوم ونزعة التفسيرات العربية واللاتينية عن هذه الأصول؟ أي أنها رفضت التفسيرات العربية واللاتينية واعتمدت فقط على أصولها الأغريقية؟ ونستطيع أن نقرأ من عنوان الكتاب أن المؤلف يعتقد بنجاح العلوم العربية -المقصود هنا المكتوبة باللغة العربية بأيد عربية أو إسلامية- في الولوج إلى العالم الأوروبي وتأثيرها فيه، لكنه يشير في الوقت ذاته إلى محاولات كبت أو طمس هذا التأثير لأسباب أيديولوجية على الأغلب لدى بعض الاتجاهات الأوروبية.

يركز الكتاب على الطب العربي والفلسفة وجزء من علم الفلك لأن هذه الموضوعات الثلاثة كانت الموضوعات المركزية في نشاطات الترجمة والطباعة. بالمقارنة، فإن تأثير علم الرياضيات العربي والقسم غير المبحوث فيه بما يتصل بعلم الفلك وعلوم السحر، لم يكن مرتبطاً حسب معلومات المؤلف بأسماء عربية أو إسلامية مشهورة. أما تأثير نظرية علم الخيمياء العربي فتبلغ ذروتها في القرن السادس عشر وتتحول إلى موضوع مناسب للتهجم على العلوم العربية.

ويكتب المؤلف،هاس، بصراحة أن علينا أن نكون واعين لا لمجرد تأثير العلوم العربية على الغرب، بل على مساهمتها المباشرة في بعض الأحيان في نتاج هذه النهضة الأوروبية ولو لم يعترف العلماء الأوروبيون بذلك. وهو يقدم لنا مثالين اثنين في هذا المجال: الأول، نظرية مرور الدم بالرئة التي أشار إليها ابن النفيس (توفى 1288) والتي أخذ بها علم الطب الغربي بعد ذلك. أما الثاني، فتأثير علماء الفلك العرب والمسلمين على نيقولا كوبرنيكوس (توفى 1543). وفي الحالتين فإن التشابه الواضح بين النظريتين يشير لا إلى التأثر بالنظرية العربية، بل إلى الاعتماد عليها أوالنقل عنها. وقد رفض ابن النفيس نظرية الطبيب والفيلسوف اليوناني جالينوس (توفى 216) بأن الدم ينفذ من حاجز القلب، ووجد أنه ينفذ بدلاً من ذلك من خلال الرئة إلى يسار القلب. وفي حالة كوبرنيكوس، فإن المسألة لا تتصل بتقديمه لنظرية مركزية الشمس، بل إلى التعديلات الحسابية التي أُدخلت إلى حسابات بطليموس المتصلة بحركة القمر- وهي تعديلات كانت شبيهة جداً بابتكارات مدرسة مراغة (أو مرصد مراغة) الذي أنشأه هولاكو منتصف القرن الثالث عشر والذي أداره ناصر الدين الطوسي (توفى 1375). وقد يكون كوبرنيكوس قد تعرّف إلى النماذج العربية لحركة الكواكب عبرالمخطوطات اليونانية البيزنطية في إيطاليا القرن الخامس عشر التي كانت تحتفظ برسوم عن النماذج العربية. (ويمكن مراجعة كتاب الدكتور جورج صليبا "العلوم الإسلامية وقيام النهضة الأوروبية" الصادر بالإنكليزية في 2007 والمترجم إلى العربية عام 2011 خاصة الفصل الخامس المتعلق بعلم الفلك وهو يشير إلى أن

كوبرنيكوس تأثر بآراء ابن الهيثم وابن الشاطر في ذلك المجال)، وها هنا بعض أمثلة التشابه أو النقل التي لم يفصح عنها علماء النهضة، فكبتوا مصادرهم العربية وأخفوها وفضلواعدم الإعلان عنها. وينشر هاس قائمة بالمؤلفات العربية المترجمة إلى اللاتينية حتى نهاية القرن السابع عشر. وهذا جدول بأكثرها طباعة مع عدد الطبعات:

الاسم	عدد الطبعات
ابن رشد	114
ابن سينا	78
ابن مسكويه	72
الرازي	67
الزهراوي	33
حنين بن اسحاق	27
الكندي	25
قسطا بن لوقا	25
ابن وافد	23
جابر بن حيان	16
موسى بن ميمون	15
ابن زهر	15
القبيسي	13
ابن رضوان	13
سهل بن بشر	9

وينتقل الكتاب إلى البحث في الاتجاه الأنسوي أو اتجاه إنساني عصر النهضة الذي يهاجم كل نتاج العصور الوسطى اللاتينية والعربية معاً بهدف العودة إلى الأصول اليونانية الأولى، وتجاوز المواد اللاتينية في العلوم والفلسفة التي كانت ترجمت إلى العربية. ويقول المؤلف إن هذه المحاولة لم تنجح في كثير من الحالات التي درسها إذ فشلت محاولة تجريد الفلسفة والعلوم الإغريقية من التفسيرات العربية واللاتينية التي أضيفت عليها في القرون الوسطى. إلا أن التهجم على التقاليد العربية في الغرب لم يكن محصوراً بالشؤون النظرية، بل كانت جزءاً من المناقشات العلمية كما كانت جزءاً من الإيمان الأساسي والمفاهيم الأيديولوجية ومناقشات الإصلاح الجامعي والمكانة الأكاديمية. نتيجة لذلك، كانت مناقشات نظريات الفلسفة والطب والفلك حادة ومتشنجة بسبب المصالح غير العلمية. لهذا تغير مسار العلوم بسبب هذه المواقف، وهو تطور لازم مع إيجابيات وسلبيات. فكلمة "الإخفاء" تعني أن هذه السلبيات كانت نتيجة لمواقف إرادية، وقد يشعر المرء بالشك في أن إخفاء التقاليد والمساهمات العربية كان أمراً موجوداً في عصر النهضة الأوروبي. إلا أن اليقين حول ذلك أكثر صحة. وفي الإطار الحالي فإن تعبير "الإخفاء" يعني المعارضة الإرادية لنظريات علمية لأسباب غير علمية. نستطيع أن نقدم بعض الأمثلة لإثبات وجهة النظر هذه حسب داغ هاس. ففي مجال الطب، كان هجوم الإنسانويين حاداً ربما لأن العديد من هؤلاء كانوا أيضاً يمتهنون الطب ويريدون إصلاحه إلا أنهم جُوبهوا بحقل يسيطر عليه المصادر العربية في الجامعات كما في الممارسة اليومية. أما الحقل الثانوي المعروف بطب الأعشاب مع أسماء الأدوية الذي كان يستأثر بأكثر المناقشات حدة بسبب المصطلحات العربية المستخدمة فيه. وكان الأنسانويون المتطرفون يريدون العودة الكاملة إلى المصادر القديمة و إرجاع مجمل طب الأعشاب ومصطلحاته إلى اليونانية. لذلك قام بعض هؤلاء باستخدام ما سمي ب"التطهير اللغوي" حيث اعتبروا أن مصطلحات طب الأعشاب تعود فقط إلى أسماء الأعشاب اليونانية وإلى المصادر اليونانية. وللوصول إلى هذه الغاية لم يترددوا في القيام بالتلاعب اللغوي الذي جعل التقاليد العلمية العربية تختفي تحت ستار اليونانية.

والواقع أن النهضة الأوروبية وجهت ثلاث اتهامات ضد التقليد العلمي العربي: الأخطاء اللغوية والنقل والابتعاد عن الدين. بالنسبة للاتهام الأول كان الكثير من النهضويين الأوروبيين يعتقدون أن اللغة العربية المستخدمة لا تتفق مع الاستخدامات الكلاسيكية. وكانت الترجمات العربية من اللاتينية تعتبر غير مقبولة لسببين: لكتابتها باللاتينية المدرسية من ناحية، ولتعريبها للاتينية المدرسية والتي كانت تحوي ترجمات لاتينية للعربية.

أما تهمة النقل فشدد عليها الأوربيون على زعم أن الأطباء والفلاسفة وعلماء الفلك الذين كتبوا بالعربية "سرقوا" كل نتاجهم من اليونان. وكان سبب هذه الفكرة أن التجديد الثقافي الأوروبي لا يمكن أن يتحقق إلا بالعودة إلى المصادر القديمة للثقافة الحديثة. وقد صاحب هذه الفكرة الادعاء بأن المعرفة الحقيقية والمتفوقة تكمن في المصادر القديمة فحسب ولا دور للمصادر التي تقع في منزلة وسط بين القديم جداً والحديث جداً. أما التهمة الأخيرة حول الابتعاد عن الدين التي أشهرها رجال الكنيسة والكثير من الإنسانويين فكانت موجهة بشكل رئيس ضد ابن رشد بسبب فلسفته التي تؤمن بالحتمية–حسب الكاتب.

إلا أنه لابد أن نشير إلى أن الخلفية الثقافية للعلوم العربية تبقى استثنائية. فالمعلومات عن حيوات العلماء العرب والمسلمين كانت قليلة جداً خلال النهضة الأوروبية وجرى الإشارة إلى معظمهم، خطأ، على أنهم كانوا أندلسيون. لهذا، لم يكونوا مرتبطين بأي شكل من الأشكال، بالإمبراطورية العثمانية التي كانت تمثل الصورة المتخيلة للشرق خلال النهضة الأوروبية. ولهذا أيضاً لم يكن هناك صورة استشراقية في ذلك الوقت وكانت النظرة السائدة آنذاك تتعارض مع النظرة الاستشراقية التي ظهرت بقوة في القرن السابع عشر. وقد بدأت النظرة الجديدة إلى الشرق تتشكل في القرن السادس عشر مع بدء الدراسة الأكاديمية للغة العربية وللإسلام، ومن كتابات الرحالة الذين وصفوا تقاليد الشرق وحياته الفكرية آنذاك حيث كانت المسافة بين الطرفين قد أصبحت مرئية أكثر وأقصر فكرياً وجغرافياً عما كانت عليه في العصور الوسطى.

علم الكلام الإسلامي وإشكالية الشر
Islamic Theology AND The Problem OF EVIL

سفروك تشودري

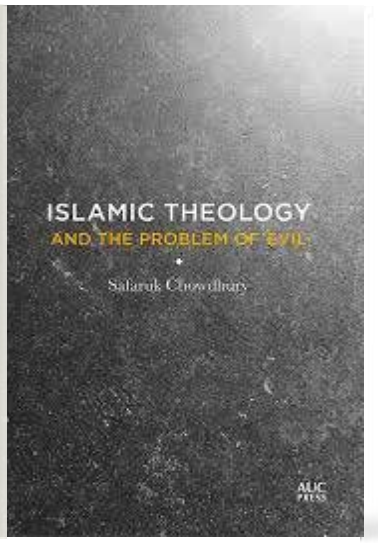

قراءة براين رايت
عضو الهيئة التدريسية
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

إن التعامل مع الشر - أو بالأدق فهم سبب وجود الشر في الدنيا - من أصعب الإشكاليات التي واجهها الفكر الديني عبر العصور؛ إذ كيف يُعقَل أن هناك إلهًا، وأن هذا الإله الرحمن الرحيم، الفعال لما يريد، العليم بكل شيء يسمح بحدوث آلام شديدة لطفل بريء، أو بحصول عاصفة تقتل آلاف المؤمنين به؟ هذه الإشكالية بالإنجليزية تسمى "Theodicy"، وهي من المباحث المهمة في علم الفلسفة، وعلم الكلام والعقيدة عند المسلمين، واللاهوت في المسيحية. وقد تناول المفكرون في هذه المجالات - من المسلمين وغيرهم - مسألة الشر في مؤلفاتهم، باحثين عن توازن بَيْن صفات الخالق وعلمه غير المحدود. فكتبت كل المدارس الفكرية في العالم الإسلامي، من معتزلة وأشاعرة وغيرهم، عن مسألة الشر، من أبرزهم في العصور الوسطى: ابن سينا، وأبو حامد الغزالي، وابن رشد.

يزداد الأمر تعقيدًا في العصر الحديث، فالتطورات الحديثة السريعة في جميع مجالات العلوم جعلت الكثير من الناس يراجعون حساباتهم مع الدين والأفكار التقليدية. وكان العالم الإسلامي أشد تأثرًا بتلك التطورات بسبب الاستعمار، وضعف المؤسسات التعليمية المسؤولة عن تناول هذه القضايا، وصعوبة التوفيق بين الأصالة والمعاصرة عند المفكرين؛ وأمام اكتفاء الكثيرين بترديد ما جاء في كتب السلف مع عدم تناول التطورات الحديثة، لا عجب أن نرى فجوة في مؤلفات المسلمين المعاصرين عن مسألة الشر تلك.

في ضوء تلك "الفجوة"، يقدم لنا "سافروك تشودري"، الباحث الإنجليزي في العقيدة والفلسفة الإسلامية، عمله الأول عن مسألة الشر في الفكر الإسلامي. يبدأ تشودري معالجة هذه المسألة بذكر ما شجعه على التأليف، وهما كارثتان: الأولى هي "حريق جرينفل" في لندن، الذي اندلع بسبب إهمال البلدية للصيانة، ما أدى إلى وفاة 72 شخصًا، والثانية هي "حادث كرايستشيرش" في نيوزلندا، حين أطلق متطرف النار وقتل51 شخصًا أثناء صلاة الجمعة في المسجد. دفعت هاتان الكارثتان "تشودري " للتركيز على الجانب التطبيقي أو العملي في تناوله مسألة الشر في الفكر الإسلامي، فنجده يناقش هذه المسألة عبر أربعة مسارات: معاناة الأبرياء (خصوصًا أصحاب الهمم)، آلام الحيوانات ومعاناتها، الشر ونظرية التطور، إشكالية وجود جهنم (النار).

يؤكد "تشودري" أن التركيز على الناحية العملية لا يعني تجاهل الناحية النظرية؛ لذا خصص الفصل الأول لتقديم صورة عامة لموقف "التراث الإسلامي" من مسألة الشر وفي مقدمته القرآن الكريم.

يذهب تشودري إلى أن القرآن يصف مظاهر الشر، من مصائب وكوارث، على أنها اختبار من عند الله. وإذا كان القرآن لا يقدم الكثير عن أسباب وجود الشر، فإنه يشير بوضوح إلى مصدر الشر في حوار الملائكة مع الله في الآيات (30-36) من سورة البقرة، وحوار الله مع إبليس في الآيات (32-42) من سورة الحِجْر، فالحواران يبرزان أن مصدر الشر هو إبليس، الذي تمرد وعصى إرادة الله وأوامره، وهذا يعني أن الشر يأتي من عند الله، ولكن بطريقة غير مباشرة، أي أن الله لا يخلق الشر بنفسه، بل هو نتيجة الخروج عما يحدده الله في كتابه.

لقد تتبع الفيلسوف الكبير ابن سينا (ت 428 ه / 1037م) هذا التصور للشر في كتاباته، فذهب إلى أننا لا يمكننا وصف الشر بالـ "إيجابي" بل علينا تناوله على أنه "سلبي" أو هو ما يوجد عند عدم وجود الخير. لذلك، فإن وجود الشر في الدنيا ضروري؛ لأننا بدون الشر لا نستطيع إدراك الخير.

بعد ذلك، يتناول تشودري باختصار المدارس والمذاهب العقائدية الإسلامية وتفسيراتها لمصدر الشر. من ذلك مذهب المعتزلة، الذين يركزون على الشر كظاهرة لعدل الله ونتيجة لأفعال البشر، بينما مذهب الأشاعرة أن الشر يأتي بإرادة الله وأنه لا يأتي من الله إلا الخير؛ فليس الشر إلا نتيجة لنقص في فهم المخلوق للخالق، وإذا تدبر المرء في الكون فقد يفتح الله عليه الأسباب وراء الأحداث التي يعتقد أنها شريرة. وقد أيدت الماتريدية رأي الأشاعرة، ولكن مع التركيز على "حكمة الله" وأن الله لا يفعل شيئًا عبثًا أو بدون سبب، وأن الشر- مهما كان شكله- لا بد أن يحدث بسبب حكمة من عند الله. وفي الأخير يتكلم تشودري عن المدرسة الأثرية (ابن

تيمية وأتباعه)، القريبة من المعتزلة في هذه المسألة، فهي ترى أن مصدر الشر هو النفسُ الإنسانية أو الشيطان، وليس الله بشكل مباشر.

وفي الفصل الثاني، يتناول تشودري المجال الأول، وهو معاناة الأبرياء (خصوصًا ذوي الهمم)، حيث يبدأ النقاش مستكملا تنظيره، منتقلا من الحديث عن مصدر الشر إلى سبب وجود الشر في الدنيا، وذلك من خلال معالجة أربعة تفسيرات قدمها العلماء من التراث الإسلامي لوجود الشر، وهي:

1.الجزاء (Retribution Theodicy)

طبقا لهذا التفسير فإن الإعاقة، أو أي داء بشكل عام، هو عقاب من الله بسبب ما ارتكبه المرء من ذنوب. يؤيد ذلك بعض الآيات في القرآن، كقوله تعالى: (مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ...) [النساء: 79] وهو ما تبناه علماء مثل " فخر الدين الرازي" و"البيضاوي" و"ابن كثير" و "السيوطي"، الذين رأوْا الإعاقة البدنية عقابًا لعدَم اتباع أوامر الله. ينتقد تشودري هذا الرأي الذي لا يقدم تفسيرا شاملا لأسباب الإعاقة، مجادلا بأن كثيرا من أصحاب الهمم لم يقترفوا أي ذنب؛ لذا فإن الاعتقاد أن الجزاء هو سبب الإعاقة يلقي باللوم كله على ذوي الإعاقة (أصحاب الهمم)، وبالتالي يصبح الشخص نفسه مصدر الشر، بدلا من التركيز على العارض (الإعاقة).

2.العلاج (Therapeutic Theodicy)

فالله أصاب الشخص بالإعاقة ليمحو ذنوبه ويضاعف ثوابه في الآخرة. يدعم ذلك ما روي عن النبي عليه الصلاة والسلام: «إنَّ العبدَ إذا سبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ منزلةٌ لم يبلُغْها بعملِهِ، ابتلاهُ اللَّهُ جلَّ وعزَّ في جسدِهِ، أو في مالِهِ، أو في ولدِهِ -زاد ابنُ نُفَيْلٍ: ثُمَّ صبَّرَهُ على ذلكَ، ثُمَّ اتَّفَقا- حتَّى يُبلِغَهُ المنزلةَ التي سبَقَتْ لهُ مِنَ اللَّهِ جلَّ وعزَّ». لا يرجح تشودري هذه الرؤية أيضاً؛ لأنها لا تبرر سبب إصابة الناس بالإعاقة دون آخرين، إلى جانب أنها تبني علاقة سلبية بين العبد والخالق، حيث يتحول الخالق فيها إلى مجرد شاهد يصيب عبده بالإعاقة ثم يراقب من بعيد، وهذا يتعارض مع "صورة الخالق" التي يقدمها القرآن والسنة.

3.المصلحة العامة (Greater-Good Theodicy)

الإعاقة ليست شرًّا أو أمر سلبيًّا، بل هي أمر أنزله الله ليحقق مصلحة، وهي إدخال عباده الجنة، وأن علينا تحمُّل كل أنواع الشر في الحياة الدنيا لكي نُكافَأ بعد الموت.

نجد هذه الرؤية في حادثة المرأة السوداء التي طلبت من الرسول عليه الصلاة والسلام أن يدعو لها بالشفاء من الصرع فقال لها عليه الصلاة والسلام: «إنْ شِئْتِ صَبَرْتِ ولَكِ الجَنَّةُ، وإنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أنْ يُعَافِيَكِ، فَقَالَتْ: أصْبِرُ...». وينتقد تشودري هذه الرؤية أيضا من ناحية أنها تشجع المرضى أو أصحاب الهمم على عدم البحث عن علاج، وأن المجتمع ليس عليه إيواء هؤلاء أو إيجاد طرق لمساعدتهم؛ لأن معاناتهم أصابتهم لتحقيق مصلحة.

4.فرصة التعلم (Educative Theodicy)

هذه الرؤية هي المفضلة لدى تشودري؛ فالإعاقة تعلمنا الأخلاق والمبادئ الإنسانية، وهي تساعد أصحاب الهمم على فهم حكمة الخالق، وتعزز علاقتهم به من خلال التعامل مع الإعاقة. أما على مستوى المجتمع، نجد أن الإعاقة فرصة لتربية النفس من خلال تعلم مبدأ الضيافة ومساعدة الآخرين، ونبذ الأنانية. ويدعم تشودري هذا التفسير بكتابات صوفية بارزة لجلال الدين الرومي، وبعض العلماء المعاصرين كالطاهر ابن عاشور في كتابه "التحرير والتنوير".

من الضروري أن نتوقف هنا لمناقشة إحدى أهم مميزات هذا الكتاب، وهي عدم اكتفاء تشودري بعرض آراء علماء الإسلام فحسب، فهو لا يتركها بدون تحليل، بل ينتهز الفرصة ليقدم رؤية جديدة مستوحاة من مصادر الإسلام وكتابات العلماء. فعندما يكتب عن الإعاقة- كما رأينا سابقا- يسترسل تشودري في مناقشة ثرية طويلة عن مبدأ الضيافة في الإنسانية عامة والإسلام خاصة، معالجًا هذه المسألة بدرجة كبيرة من الفهم. ومثال ذلك ما ورد في الجزء الأخير من الفصل الثاني، حيث ينهي كلامه عن الضيافة بعرض أهم الانتقادات التي قد يقدمها آخرون ضد الرؤية التي يفضلها، فيقول إن النظر إلى الإعاقة كفرصة للتعلم قد يجعل أصحاب الهمم في مكانة مرتفعة في المجتمع، الأمر الذي قد يدفعهم إلى التكبر والغرور، وبدوره قد ينظر المجتمع إليهم بحسد وغَيْرة. لكن تشودري يفند هذا النقد المفترض مؤكدا أنه لا بد من التوازن الدقيق في التعامل مع الإعاقة بهذه الطريقة، وأن على المجتمع مراجعة نفسه بشكل مستمر.

يستمر تشودري في هذا النهج في الفصلين الثالث والرابع، ففي الفصل الثالث يتناول معاناة الحيوان من خلال عرض موقف المذاهب العقائدية الإسلامية حيال المسألة، الذي لا يختلف كثيرًا عن الإطار العام الذي قدمه تشودري في الفصل الأول لهذه المدارس.

في بداية، يقرر تشودري أن علماء الإسلام اهتموا بمعاناة الحيوانات والمخلوقات غير البشرية عامةً منذ صدر الإسلام، بناءً على ما ورد في القرآن الكريم وعدة أحاديث مشهورة. وفي كتابات العصور الوسطى، نجد كتابات "إخوان الصفا" وقصة "دعوى الحيوان ضد الإنسان عند ملك الجان" التي نجد فيها تباينًا في آراء العلماء تجاه الحيوان. فبعضهم - ومنهم إخوان الصفا - يرى أن الحيوان كائن على نفس مستوى الإدراك من الإنسان؛ لذا من الضروري توفير حقوق له والمحافظة عليها. ومن جانب آخر، يرى آخرون الحيوان كائنا أقل قوةً وإدراكًا من الإنسان، وعلينا حمايته ورعاية مصلحته.

في الفصل الرابع ينطلق تشودري ليقدم رؤية جديدة في فهم معاناة الحيوان بعد عرض آراء العلماء في الفصل الثالث. هذه الرؤية مبنية على نظرية التطور للعالم الإنجليزي

"تشارلز داروين" وبعض علماء الكلام المعاصرين المسيحيين.

للوهلة الأولى قد يستعجب القارئ من استخدام هذه النظرية، خاصة أن الكثير من علماء العالم الإسلامي يرفضونها، ويصرون على أنها ضد مبادئ الإسلام. من جانبه، يعالج تشودري هذه الإشكالية موضحًا أن الرؤية الأساسية التي يريد تقديمها هي أن الدين ونصوصه الأصلية (القرآن الكريم والسنة) لا تتعارض بشكل جذري مع الاكتشافات العلمية الحديثة، فصفات القدرة والعلم عند الله تجعل نظرية التطور ممكنة وصالحة للتعامل معها، حتى إذا اختلف المسلم مع بعض جوانبها. ثم يكمل تشودري مقررًا أن معاناة الحيوان، التي تأتي من الله، هي لغرض تيسير عملية التطور، فقد يُنزل الله الآلام والمعاناة على جنس من الحيوانات ليجعلها تتأقلم مع ظروف بيئية وحياتية متغيرة، وإذا لم تستطع التأقلم في المدة المطلوبة، تسقط ضحيةً لعملية التطور، ويُفسح المجال لغيرها.

يقرّ تشودري بأن هناك عدة أسباب محتملة لوجود معاناة الحيوانات، وأن رؤيته قد تكون بدائية وتحتاج إلى تدقيق، لكنه يدافع عنها من زاوية أنها الطريقة المثلى لفهم معاناة الحيوان في الدنيا؛ لذا يجب على الإنسان بذل الجهد في فهم سنة الله في إدارة شؤون الخلق.

في الفصلين الثالث والرابع، نجد ميزة جديدة في كتاب تشودري، وهي أنه يستعين بأفكار الآخرين - حتى من خارج النطاق الإسلامي - لمساعدته في بناء أفكاره وتعزيزها. من ذلك ما كتبه عن نظرية التطور، حيث بدأ تشودري بمناقشة كتب ثلاثة من أهم الباحثين الغربيين في مسألة معاناة الحيوان:

Nicola Hoggard Creegan-) Michael Murray- Christopher (Southgate

بعد المناقشة، يحلل تشودري أفكارهم بدقة شديدة، متفقاً مع بعض آرائهم ومتجاهلاً بعضها الآخر. فعندما يتناول تشودري كتاب (Michael Murray) الذي يرى أن معاناة الحيوان نتيجة لقوانين طبيعية خلقها الله، ولكن الله لا يتدخل في تطبيقها، نراه يعبر عن القلق الموجود في أوساط المفكرين من أن هذه الرؤية قد تقلل من أهمية معاناة الحيوان، الأمر الذي يسمح بانتهاك حقوق الحيوان بسهولة؛ بسبب عدم اهتمام المؤسسات القانونية والدولية بها.

في الفصل الخامس يتناول تشودري مسألة وجود جهنم (النار)، أو بشكل أدق، كيف يتم التوفيق بين صفات الله (الرحمن الرحيم) وفرص المغفرة اللامتناهية الواردة في القرآن والسنة من جانب، وبين وجود عذاب أبدي في النار من جانب آخر؟

قام تشودري في هذا الفصل بعرض آراء العلماء المسلمين في هذه المسألة، فتناول الرؤية السائدة التي تقول إن الناس يوم القيامة قسمان: قسم يدخل الجنة للأبد وقسم يدخل النار للأبد، وأن الجنة والنار حقيقتان لا مجاز في فهمهما. ثم يعرض تشودري ثلاثة انتقادات لهذه الرؤية:

أولها: أن وجود النار يتعارض مع رحمة الله، وثانيها: أنه ليس هناك مبرر لتعذيب إنسان للأبد جزاءً لارتكابه جريمة محدودة زمانًا ومكانًا؛ لأن ذلك يتنافى مع عدل الله، وثالثها: أن الله لا يناله نفع من وضع إنسان في النار للأبد؛ لذلك ليس وجود النار ضروريًا.

في معرض الرد على هذه الانتقادات - التي عرضها بالتفصيل- يرى تشودري أن مجال دخول النار في الإسلام محدود جدًا، وأن فرص النجاة من النار كافية لدرجة أن الغالبية العظمى من البشر ستدخل الجنة، حتى أن بعض العلماء ذهبوا إلى أن المكوث في النار سيكون محدودا؛ وعليه يرى تشودري أن وجود النار ضروري لهؤلاء الناس الذين يستحقون العذاب الأبدي في النار، بيد أن هؤلاء يقعون في دائرة غاية في الضيق، ومن يدخل النار منهم هو فقط مَن يرفض رسالة الإسلام (التوحيد)، متعمّدًا ومدركًا ومعتديًا.

في الختام، حري بنا القول إن هذا الكتاب مفيد جدًا لأي قارئ أو طالب يبحث عن مدخل جديد في علم الكلام الإسلامي، وأنه يجب تهنئة تشودري على هذا المجهود الكبير. من الضروري أيضًا أن يركز الباحثون في العالم الإسلامي على طريقة تعامل تشودري مع النصوص التراثية، وتحليله للآراء القديمة والحديثة، الإسلامية منها وغير الإسلامية، ومن ثَمّ المضي في تقديم رأي يأخذ بعين الاعتبار الماضي والمستقبل في الوقت نفسه.

لعل بعض القراء قد يرى أن هذا الكتاب، الذي يتكون من 185 صفحة تقريبا، لا يكفي لتناول هذه القضايا بشكل كافٍ ووافٍ، وأن الفصل الخامس (عن النار) بالتحديد يبدو زائدًا، وأنه كان من الأفضل أن يكتفي تشودري بالتوسع في الفصول الأخرى. لكن، رغم صحة هذه الملاحظات فإن أسلوب تشودري بارز جليّ في العرض والتحليل، وهو ما يجعل هذا الكتاب إسهامًا علميًا مهمًّا.

علاقات معقدة

مناقشات للصداقات الهندوسية–المسلمة بعد الإمبراطورية

Perilous Intimacies

Debating Hindu- Muslium Friendship After Empire

شيرعلي تارين

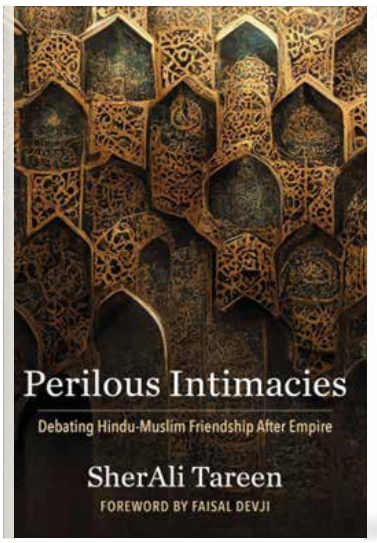

قراءة هبة أبوخوصة
عضو الهيئة التدريسية
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

يُعد "شيرعلي تارين" باحثًا متميزًا في مجال الدراسات الإسلامية، معروفًا بتحليلاته العميقة لديناميات الفكر الإسلامي في جنوب آسيا وتفاعله مع التقاليد الدينية الأخرى، خاصة الهندوسية. تتميز أعماله بالدقة الأكاديمية والمنهج النقدي، مما أكسبه سمعة مرموقة في إنتاج دراسات شاملة ومحفزة للتفكير حول التاريخ الفكري الإسلامي. بالإضافة إلى ذلك، يُعتبر "تارين" من الرواد في توظيف المقاربات البينية بين التاريخ الديني والأنثروبولوجيا الثقافية، مما يثري أبحاثه برؤى متعددة التخصصات. لا تقتصر مساهماته على الجانب الأكاديمي فحسب، بل تمتد إلى المشاركة الفاعلة في حوارات دولية حول التعددية الدينية، حيث يُدعى - بشكل متكرر - متحدثًا رئيسيا في مؤتمرات تركز على التعايش بين الأديان في جنوب آسيا، كما حصل على جوائز تقديرية لتميزه في البحث، منها جائزة "أفضل كتاب في الدراسات الآسيوية" عام 2022 عن عمله السابق الذي تناول التصوف الإسلامي وتفاعله مع الفلسفة الهندية.

اكتسب كتاب "علاقات معقدة: مناقشات حول الصداقات الهندوسية - المسلمة بعد الإمبراطورية" لشيرعلي تارين أهمية قصوى، لأنه يستقصي النقاشات بين العلماء المسلمين في جنوب آسيا حول حدود وإمكانيات صداقة الهندوس والمسلمين من أواخر القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن العشرين. يبحث الكتاب في كيفية تعامل هؤلاء الشيوخ، الذين يُسّمون "العلماء" في المجتمع العام، مع التداعيات اللاهوتية والاجتماعية للعلاقات بين الأديان في سياق الحكم الاستعماري البريطاني وزوال السيادة السياسية للمسلمين. يُضيف "تارين" إلى ذلك تحليلًا لآليات تشكيل الهوية الجماعية في ظل تحولات السلطة، مُبرزًا كيف أثرت التغيرات الجيوسياسية في الخطابات الدينية. على سبيل المثال، يربط الكتاب بين صعود الحركات الإصلاحية الإسلامية مثل "الديوبندية" و"البريلوية" وبين التحديات التي فرضها الاستعمار، حيث سعت هذه الحركات إلى إعادة تعريف الإسلام في مواجهة الثقافة الهندوسية المهيمنة. كما يوضح كيف أن انهيار إمبراطورية المغول الإسلامية عام 1857 مثل نقطة تحول حاسمة، أجبرت العلماء على إعادة صياغة مفاهيم الولاء والهوية.

نُشر كتابه "علاقات معقدة: مناقشات حول الصداقات الهندوسية - المسلمة بعد الإمبراطورية" من قبل دار النشر "بيرمانت بلاك" في ديسمبر 2023، وتُعرف دار النشر هذه بتركيزها على دراسات جنوب آسيا، وإنتاج أعمال تسهم بشكل كبير في فهم المشهد التاريخي والثقافي والديني المعقد للمنطقة. يُشار إلى أن اختيار هذه الدار لنشر العمل يؤكد مكانة الكتاب كمصدرٍ مرجعي في حقل الدراسات ما بعد الكولونيالية، حيث تُعنى الدار بتسليط الضوء على الأعمال التي تعيد قراءة التراث الفكري بمنظور نقدي. ومن الجدير بالذكر أن "بيرمانت بلاك" نشرت أعمالاً رائدة أخرى في هذا المجال، مثل كتاب "حدود الإسلام" لفيصل ديفجي، مما يعكس التزام الدار بدعم الأصوات التي تتحدى السرديات الاستعمارية التقليدية. كما حظي الكتاب بمراجعات إيجابية في مجلات مرموقة مثل "جورنال أوف آسيان ستاديز"، حيث أشاد النقاد بجرأة "تارين" في كشف التناقضات داخل الخطاب الإسلامي.

يحتوي الكتاب على 332 صفحة، وتتناول محاوره المواضيع التالية: ترجمة "الآخرين": فهم المسلمين في مطامع العصر الحديث للهندوسية، تحديد "الإله الحق": حروب المعجزات والمناظرات بين الأديان، الصداقات والخيالات السيادية، البقرة والخلافة، عدوى التقليد: نسب مختار، بما في ذلك ترجمة النصوص الدينية الهندوسية من قبل العلماء المسلمين، والنقاشات اللاهوتية حول الصداقة بين الأديان في القرآن، والمسألة المثيرة للجدل حول تبني العادات الهندوسية.

وقد استند "تارين" - في كل فصل

من فصول الكتاب - إلى التحليل الموضوعيّ بدلاً من التحليل الزمني البحت، مما سمح له بكشف النقاشات الدقيقة والمتنوعة داخل المجتمع العلمي الإسلامي. ويُلاحظ أن هيكلة الفصول تعكس تنوع المصادر المُستخدمة، من فتاوى فقهية إلى رسائل شخصية بين العلماء، ففي فصل "حروب المعجزات"- على سبيل المثال - يحلل "تارين" مناظرة شهيرة بين العالم المسلم شاه ولي الله الدهلوي والكاهن الهندوسي رامانند، حيث استخدم كلٌّ منهما معجزات دينية لإثبات تفوق عقيدته. هذه الحالة تظهر كيف تحولت المناظرات الدينية إلى ساحات للصراع على الشرعية في عصر انحدار السلطة الإسلامية.

ومن بين أهم نقاط القوة في كتاب "تارين" هذا فحص مفهوم "الموالاة" أو الصداقة، حيث تعمَّق في دراسة مفهوم "الموالاة"، الذي يشمل مجموعة من العلاقات والروابط الشخصية الحميمة التي تؤسس للتحالفات الفكرية والسياسية من خلال الغوص في أرشيف غني من النصوص العربية والفارسية والأردية، بما في ذلك الآراء الفقهية، والتاريخيات السردية، وترجمات كتب علم الأديان. في هذا المبحث يوضح "تارين" التفاعل المعقد بين الهوية الإسلامية في ضوء التفاعلات بين الهندوس والمسلمين خلال فترة من الاضطرابات السياسية والاجتماعية الكبرى، فيُبرز الكاتب كيف أن مفهوم "الموالاة" لم يكن مجرد مسألة دينية، بل تحول إلى أداة سياسية لإدارة التعددية في مجتمع متشظٍّ. وفي فصل "الخيالات السيادية"، يشرح "تارين" كيف أول العلماء مفهوم الموالاة لتبرير تحالفات مع حكام هندوس ضد الاستعمار البريطاني، بينما أدان آخرون هذه الممارسات باعتبارها خيانة للعقيدة. هذا التناقض يعكس الصراع بين الحاجة إلى الوحدة السياسية والالتزام بالحدود الدينية.

وقد خُصِّص جزء كبير من الكتاب لترجمة النصوص الهندوسية من قبل العلماء المسلمين. ولم تكن هذه الترجمات مجرد تمارين لغوية، بل كانت متشابكة بعمق مع الاعتبارات اللاهوتية والسياسية. في هذا المبحث يوضح "تارين" كيف كانت هذه الترجمات أرضية للنقاش المكثف؛ حيث رأى بعض العلماء أنها ضرورة للتفاعل مع التقاليد الفكرية لنظرائهم الهندوس، بينما رأى آخرون أنها تشكل تهديدًا لطهارة الإسلام. ويُضيف تارين أمثلةً محددةً، مثل ترجمة نصوص "الفيدا" و"الأوبانيشاد"، التي أثارت جدلًا واسعًا حول شرعية تدوينها بلغات إسلامية. ففي حالة ترجمة "بهاغافاد غيتا" إلى الفارسية، يوضح "تارين" كيف حاول المترجم المسلم تقديم النص باعتباره "حكمة شرقية" مشتركة، بينما هاجمه فقهاء آخرون معتبرين ذلك "تطبيعًا مع الشرك". هذه التوترات تكشف عن الصراع بين الانفتاح الفكري والخوف من التلوث العقائدي.

ويغوص الكتاب أيضًا في الجدالات اللاهوتية، خاصة النقاشات حول الصداقة بين الأديان كما هو مذكور في القرآن. ويحلل "تارين" بدقة التفسيرات المختلفة للآيات القرآنية المتعلقة بالصداقة مع غير المسلمين. ويظهر كيف تشكلت هذه التفسيرات انطلاقًا من السياقات الاجتماعية والسياسية للعلماء ومحاولاتهم الحفاظ على الهوية الإسلامية في عالم يتغير بوتيرة مطردة. فعلى سبيل المثال، يتناول الكاتب الخلاف حول تفسير آية "لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء"، وكيف تم توظيفها لدعم أو رفض التحالفات مع الهندوس. ففي أحد الأمثلة البارزة، يستشهد تارين بفتوى للشيخ أحمد السرهندي (المعروف بمجدد الألف الثاني) تحرم التعاون مع الهندوس حتى في مقاومة الاستعمار، في مقابل آراء علماء آخرين مثل سيد أحمد خان الذين رأوا في التحالفات السياسية ضرورة لحماية المصالح المشتركة.

كما تناول كتاب "علاقات معقدة" موضوعًا شائكًا يتجلى في ظاهرة تبني العادات الهندوسية، حيث استكشف "تارين" مواقف العلماء المسلمين المنقسمين بين رافض ومؤيد لهذه الظاهرة. لقد رأى بعضهم في ذلك وسيلة لتعزيز التوافق والتعايش، بينما رأى آخرون بأن هذه الظاهرة تتناقض وتعاليم الدين الإسلامي. وامتد هذا النقاش إلى جوانب مختلفة من الحياة اليومية، بما في ذلك الممارسات الغذائية، واللباس، والطقوس. ويُسلط "تارين" الضوء على حالات دراسية، كاستخدام الزهور في المناسبات أو تقليد الأعراس الهندوسية، مواضيعَ اختلف العلماء حولها. وفي تحليل مُفصل، يشرح "تارين" كيف أن قبول بعض علماء البنغال لطقوس "ديوالي" (مهرجان الأنوار الهندوسي) كجزء من الثقافة المحلية أثار غضب علماء شمال الهند، الذين اعتبروا ذلك "ذوبانًا في الوثنية". هذه الخلافات تكشف عن التباين الجغرافي-الثقافي في تفسير الهوية الإسلامية.

وبالجملة يتميز تحليل "تارين" للقضايا المطروقة بالعمق والدقة. فهو لا يتجنب التعقيدات والتناقضات الموجودة في هذه النقاشات؛ بل يستخدمها ليكشف عن التنوع الغني في الفكر داخل التقليد الفكري الإسلامي. وتوفر قراءاته الدقيقة للنصوص الأساسية رؤى قيمة حول كيفية تعامل العلماء المسلمين مع المشهد السياسي والاجتماعي المتغير في جنوب آسيا الاستعمارية. وقد تبنى "تارين" المقاربة لتأكيد أطروحة كتابه بأن الخطاب حول صداقة الهندوس والمسلمين كان متشابكًا بعمق مع الأسئلة الكبرى حول طبيعة الهوية الإسلامية في العالم الحديث. كما أن فقدان السيادة السياسية للمسلمين تحت الحكم الاستعماري البريطاني أجبر العلماء المسلمين على إعادة النظر في علاقتهم بالهندوسية، ومدى إمكانية استيعاب أو رفض جوانب

من الثقافة الهندوسية. من خلال دراسة خطب الجمعة ورسائل الفتاوى، يظهر "تارين" كيف تحولت اللغة الدينية من التركيز على التفوق الإسلامي إلى الدفاع عن الوجود الإسلامي في مواجهة التهميش. هذا التحول يعكس أزمة الهوية التي عاشها المسلمون باعتبارهم أقلية في ظل نظام استعماري دعم الهندوسية كـ"ثقافة أصلية".

وكما هو الأمر مع أي عمل رائد فإن كتاب "علاقات معقدة" عرف بدوره قصورًا، ومن بين الانتقادات الرئيسية التي وُجهت إليه، تركيز تحليل "تارين" - بشكل أساسي - على النقاشات اللاهوتية والعلمية، مع إعطاء اهتمام أقل للتجارب الحية للمسلمين والهندوس العاديين. ورغم القيمة التي يكتسيها هذا المنهج في فهم التيارات الفكرية في ذلك الوقت، فإنه لا يستطيع أن يعكس واقع العلاقات اليومية بين الهندوس والمسلمين بشمولية ودقة. ويُعتقد أن إدراج شهادات شفوية أو وثائق أرشيفية من الحياة اليومية كان سيدعم فرضيات الكتاب بشكل أكبر. فعلى سبيل المثال، كان بإمكان "تارين" الاستعانة بمذكرات التجار أو الفلاحين الذين عاشوا في مجتمعات مختلطة، أو تحليل الأعمال الفنية الشعبية التي تعكس التبادل الثقافي، مثل أغاني المهرجانات المشتركة أو الحكايات الشعبية التي تجسد التعايش، وتجلي مظاهره.

لقد غاص الكاتب "شيرعلي" في كتابه "علاقات معقدة" في نقاشات فكرية عميقة بين علماء المسلمين في جنوب آسيا، ودراسة حدود وإمكانيات صداقة الهندوس والمسلمين؛ وكانت إثارته لهذه النقاشات داخل المجتمع المسلم أمراً لافتاً يبرز أن هذه النقاشات لم تكن تتعلق بالعلاقات بين الهندوس والمسلمين فقط، بل كانت تعبيرًا عن التوترات الأوسع داخل المجتمع المسلم أيضا، لأن فقدان السيادة السياسية أدى إلى إعادة تقييم لما يعنيه أن تكون مسلمًا في سياق استعماري. وغالبًا ما أسفرت إعادة التقييم عن خلافات حادة بين العلماء، التي يسجلها الكاتب من خلال تحليله التفصيلي للمصادر الأساسية، فيُلاحظ هنا كيف أن الانقسامات الفكرية كانت تعكس انقساماتٍ اجتماعيةً أعمق، كالخلاف بين النخب الحضرية والعلماء الريفيين. ففي مدينة "لكناو"، مثلًا، دعمت النخبة المثقفة تعلم اللغة السنسكريتية أداةً للتفاهم، بينما اعتبرها علماء القرى تهديدًا لهوية المجتمع. هذا الانقسام يعكس التباين الطبقي في تبني مفاهيم الحداثة والتقليد.

إن السياق التاريخي الذي اعتمده "تارين" - خلال دراسة القضايا وتحليلها - كان مستندا أساسيًا لفهم جذور العلاقات الهندوسية -المسلمة المعاصرة من خلال تتبع النقاشات إلى فترة المغول المتأخرة وعبر الحقبة الاستعمارية. فقد وضح "تارين" أسباب استمرار المظالم التاريخية والنزاعات اللاهوتية في تشكيل الديناميات بين الأديان في جنوب آسيا، وأضاف الكاتب بعدًا تحليليًا لبيان كيفية استغلال الاستعمار البريطاني لهذه الانقسامات عبر سياسات "فرّق تَسُد"، مما عمّق الهوّة بين المجموعتين. ففي فصل "البقرة والخلافة"، يشرح "تارين" كيف حوّل البريطانيون قضية ذبح الأبقار - المقدسة عند الهندوس - إلى أزمة سياسية، واعتمادها أداة لإثارة الفتنة. ولكن هذه الاستراتيجية لم تضعف التحالفات المحتملة بين المجموعتين فحسب، بل أعطت مبررًا دينيًّا للصراع الذي ما يزال صداه مسموعًا حتى اليوم.

إن كتاب "علاقات معقدة: مناقشات حول الصداقات الهندوسية - المسلمة بعد الإمبراطورية" هو مساهمة أكاديمية كبيرة تسلط الضوء على النقاشات المعقدة والمتعددة الأوجه بين العلماء المسلمين في جنوب آسيا حول الصداقة بين الأديان. وإن التحليل الدقيق لـ"تارين" والاستخدام المكثف للمصادر الأساسية يجعله مرجعًا مهمًّا لأي باحث مهتم بتاريخ الفكر الإسلامي في جنوب آسيا والديناميات المعقدة للعلاقات الهندوسية - المسلمة. ولا شك أن هذا العمل سيثير حوارات جديدة في الأوساط الأكاديمية، خاصة في ظل الحاجة الملحة لفهم جذور التوترات الدينية المعاصرة في المنطقة. وبالإضافة إلى ذلك، يقدم الكتاب أدوات منهجية لفهم الصراعات الدينية الحالية، مثل أزمة "كشمير" أو أعمال الشغب الطائفية، من خلال كشف الجذور التاريخية للاستقطاب وبهذا المعنى، لا يعد عمل "تارين" مجرد دراسة تاريخية، بل هو مرآة عاكسة لتحديات التسامح والتعايش في العصر الحاضر.

الطريق الذهبي

كيف غيَّرت الهند القديمة العالم

The Golden Road

How Ancient India Transformed the World

وليم دالريمبل

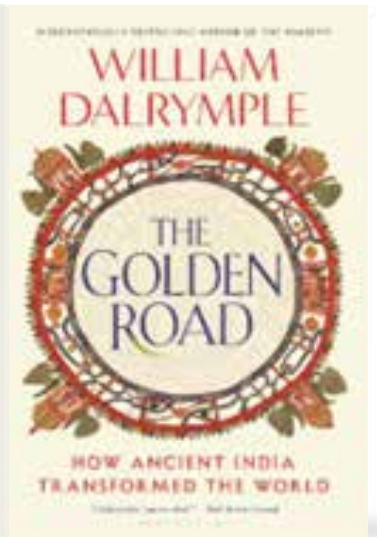

قراءة زياد السلامين
عضو الهيئة التدريسية
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

ويليام دالريمبل مؤرخ أسكتلندي متخصص في تاريخ الفن، نشر سلسلة من الكتب الشهيرة والمؤثرة، أبرزها "المغول البيض"، الذي يتناول الصراعات الثقافية بين الشرق والغرب، و"الفوضى" الذي يروي فيه قصة شركة الهند الشرقية، و "المثلث الدامي: أفغانستان وباكستان والهند" الذي يستعرض فيه أثر العداء الهندي الباكستاني على الحرب في أفغانستان.

في كتابه الجديد "الطريق الذهبي"، يناقش دالريمبل موضوعًا حضاريًا شاملًا للمرة الأولى، مستعرضًا إسهام شبه القارة الهندية في تاريخ العالم، ومحاولًا إعادة بناء صورة الهند القديمة، ومستحضرًا عظمتها، وقد قدَّم المؤلف رؤية جديدة واستثنائية عن تأثير الحضارة الهندية القديمة في العالم، وتتبَّع تأثير الهند من حوالي 250 قبل الميلاد إلى 1200م على طول ما أسماه "الطريق الذهبي" الممتد من البحر الأحمر إلى المحيط الهادئ، مؤكِّدًا أن الهند، وليس الصين، كانت الشريك التجاري الأكبر للإمبراطورية الرومانية.

يرى مؤلف الكتاب أن الهند كانت ذات تأثير استثنائي في تقديم إسهامات علمية بارزة، خاصة في مجالي الرياضيات وعلم الفلك، بحيث لا تضاهيها في هذا التأثير سوى الحضارة الهيلينية القديمة.

يحاول الكتاب تصحيح التصور السائد الذي يربط تطور العالم الحديث بتأثير الصين وحدها، ويعرض أدلة تُبرهن على الدور الجوهري للهند في هذا السياق، والتي كانت قديماً مركزاً عالمياً نابضاً بالحياة، مليئاً بالموانئ والأسواق والتجار من مختلف الدول.

يُسلِّط كتاب "الطريق الذهبي" الضوء على دور الهند الذي غالبًا ما يُغفل، كقوةٍ اقتصاديةٍ وحضاريةٍ محوريةٍ في قلب العالم القديم وبدايات العصور الوسطى، ويُشدِّد المؤلف على الدور المحوري للتجارة البحرية الهندية، مشيرًا إلى أن حركة النقل البحري كانت تتفوق بشكلٍ كبيرٍ على تجارة القوافل، سواء من حيث الحجم أو القيمة الاقتصادية. وبهذا المعنى، أصبح طريق الحرير، رغم سمعته الأسطورية، ذا تأثيرٍ ثانويٍ في دفع عجلة النمو الاقتصادي الهندي.

وقد أسهمت التجارة البحرية في نشوء أنظمة سياسية هندية على طول طرق الملاحة البحرية، مما أتاح انتشار الثقافة الهندية على نطاق واسع عبر العالم. وقد لعب الهنود دورًا كبيرًا في نشر معارفهم في مجالاتٍ عدة، مثل علم الفلك والرياضيات، حيث تُنسب إليهم إسهامات محورية شملت النظام العشري، مفهوم الصفر، وعلم الجبر، بالإضافة إلى مجالات الفنون والآداب.

يؤكِّد دالريمبل في كتابه أنه لم يكن هناك ما يُعرف بطريق الحرير في العصور القديمة أو الكلاسيكية، وأن الطريق الذي ربط العالم القديم فعليًا هو "طريق الذهب"، وكانت الهند في مركزه. امتد هذا الطريق من البحر الأحمر، مروراً بأفغانستان إلى الصين، ووصولًا إلى سواحل المحيط الهادئ عبر الهند، ولم يكن هذا الطريق مجرد ممر، بل كان له تأثيرٌ بالغٌ في تكوين العالم القديم، وأسهم في تأسيس إمبراطوريات وديانات استمرت لأكثر من ألف عام.

يستعرض الكتاب بعد ذلك انتشار الأفكار الهندية من آسيا إلى مختلف أنحاء العالم، مُسلطًا الضوء على الأنظمة الفكرية الهندية التي نشأت عندما كانت الهند مركزًا لنفوذ واسع يمتد من أفغانستان إلى اليابان، مع تأثيرات وصلت غربًا إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط البعيدة.

ويتناول الكتاب أيضًا نشأة البوذية في القرن الخامس قبل الميلاد بوصفها حركة سلمية تدعم قيم المساواة، نشأت في سياق تحولٍ فلسفيٍ عميقٍ، ردًّا على الهندوسية الفيدية المبكرة وما تضمنته من تقاليد صارمة ونظام طبقي جامد، وكذلك كبديلٍ لزهد الديانة الجينية المُتشدِّد.

وينتقل المؤلف للحديث عن التحول الهام الذي شهدته البوذية في عهد الإمبراطور أشوكا، الذي جعل منها ديانة شاملة في الهند، وأطلق حملات لنشر "الدارما" عبر إرسال مبشرين إلى مناطق شتى حول العالم. ثم يستعرض انتشار البوذية لاحقاً في التبت والصين وتأثيرها الكبير على الثقافة والحياة الفكرية هناك، حيث بلغت هذه العملية

ذروتها عندما أصبحت الدين الرسمي في البلاط خلال فترة حكم الإمبراطورة وو زتيان.

ويؤكِّد المؤلف أن انتشار البوذية كان بفضل جهود الدعاة والتجار، مما أسهم في تحقيق ازدهار اقتصادي كبيرٍ للهند وشركائها التجاريين. ويُعزِّز هذا الطرح بأدلةٍ أثريةٍ تدعم دور البوذية ليس فقط كدين، بل كعاملٍ قوي في نمو وتطور الشبكات التجارية والثقافية بين الهند وشركائها.

تناقش الفصول التالية من الكتاب كيف اعتنقت النخبة الحاكمة في جنوب شرق آسيا الهندوسية في فترة تزامنت تقريبًا مع زيادة شعبية البوذية. وقد استخدمت هذه النخبة اللغة السنسكريتية كلغة أساسية في بلاط الحكم، مما ساهم في انتشار تأثير الأديان الهندية إلى أغلب أنحاء آسيا. وبهذا، فرضت الأديان الهندية هيمنتها على الخطاب الديني والفلسفي والثقافي وحتى الاقتصادي والسياسي في القارة الآسيوية، واستمر تأثيرها لأكثر من ألفي عام.

تتناول الفصول الأخيرة من الكتاب انتقال الرياضيات الهندية، بما في ذلك الأرقام التي نستخدمها اليوم، والنظام العشري، والجبر، وعلم المثلثات، والخوارزميات، بالإضافة إلى الاكتشافات الفلكية، من الهند إلى بغداد العباسية للمرة الأولى في أواخر القرن الثامن الميلادي.

وفي هذا السياق، يُسلِّط المؤلف الضوء على أسرة البرامكة العباسية، التي تعود أصولها إلى أفغانستان. ويشير إلى أن والد أول وزير برمكي في بغداد درس الرياضيات الهندية في كشمير، التي كانت تُعتبر واحدة من أبرز مراكز التعلم الهندية في ذلك الوقت. كما يستعرض المؤلف البعثتين اللتين أرسلتا إلى الهند لتعلم الطب الهندي وزيارة المرصد الهندي الكبير في أوجين لدراسة الرياضيات والفلك. وقد أسفرت كلتا البعثتين عن استقدام عدد من العلماء الهنود إلى بغداد، حيث بدأت جهود ترجمة الكتب السنسكريتية إلى اللغة العربية.

يستنتج المؤلف أن بعض المؤرخين الفرنسيين في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي اعتبروا دور الهند في جنوب شرق آسيا جزءًا من مهمةٍ استعماريةٍ حضاريةٍ تشبه مهمتهم في تلك الفترة. كما أشار إلى اعتراض مؤرخين من جنوب شرق آسيا على الصورة النمطية السلبية لأجدادهم ودور الهنود في تحضُّرهم، حيث رفضوا اعتبار أوطانهم امتدادًا لـ "الهند الكبرى". وأكَّد هؤلاء المؤرخون على عدم وجود أي دليل على نشاطٍ عسكريٍ هندي واسع النطاق في منطقتهم قبل غزوات تشولا في القرن الحادي عشر. وخلصوا إلى أن فكرة "المستعمرات الهندوسية" المبكرة هي مجرد وهم، وأن الأدلة المتعلقة بالتأثير الثقافي والاقتصادي مبالغ فيها. كما سعى هؤلاء المؤرخون إلى إثبات أن جنوب شرق آسيا لم تكن جزءًا من الهند إداريًا قبل عصر تشولا، وعارضوا مفهومي "المستعمرات الهندوسية" و"الهَنْدَنة" اللذين يُعتبران غير مرغوب فيهما في الأوساط الأكاديمية.

وسارع جيل جديد من علماء الآثار ومؤرخي الفن في فيتنام وكمبوديا إلى التقليل من أهمية دلالات الاستعمار الهندي، معتبرين أن ما اكتشفوه يُمثِّل جزءًا من العلاقة المتبادلة المبنية على "التثاقف" و"التبادل الثقافي" بين الهند وجنوب شرق آسيا. وفي هذا السياق، يرى هؤلاء العلماء أن نخب جنوب شرق آسيا استخدمت الأفكار الهندية وأعادت تشكيلها بشكلٍ انتقائي، بدلاً من تبنيها بشكلٍ أعمى.

وتناول المؤلف مصطلح "طريق الحرير" وسلَّط الضوء على إهمال الدور الجوهري الذي لعبته شبه القارة الهندية كمركز اقتصادي وثقافي، نتيجة التركيز المتزايد على ارتباط هذا الطريق بالصين وحدها، وبيَّن أن هذا المصطلح لم يكن معروفًا في العصور القديمة أو الوسطى، بل صاغه الجغرافي بارون فون ريتخوفن عام 1877م، ولم يدخل اللغة الإنجليزية حتى عام 1938 م. ففي العصور القديمة، كانت روما والهند شريكين تجاريين رئيسين، حيث كانت السفن الرومانية تتردد على الموانئ الهندية سنويًا، وكانت لدى الرومان معرفة دقيقة بتلك الموانئ. كما تواصلت الصين مع روما عبر الموانئ الهندية، دون الاعتماد على طريق الحرير، الذي لم يكن في الحقيقة طريقًا تجاريًا بريًا موحدًا يربط بين البحر الأبيض المتوسط وبحر الصين كما صُوِّر لاحقًا.

ويخلص المؤلف إلى أنه لم تكن هناك حركة حرة للبضائع بين الصين والغرب قبل عهد المغول؛ إذ كان الحرير غالبًا يصل إلى الغرب عبر الهند وبطرق غير مباشرة. ولم يكن الحرير السلعة الأساسية الوحيدة المستوردة من الشرق، بل كانت صادرات الهند، مثل الفلفل، والتوابل، والعاج، والقطن، والأحجار الكريمة، وخشب الصندل، تحظى بقيمة وأهمية أكبر في التجارة الدولية آنذاك.

ويستعرض المؤلف بعد ذلك الأدلة الأثرية الرومانية المكتشفة في الهند والصين، وخاصة العملات الرومانية التي وُجدت بكثرة في الهند وبكميات أقل في الصين. ومع انهيار التجارة الرومانية بسبب الحصار الفارسي، تحوَّل التجار الهنود إلى جنوب شرق آسيا كمصدرٍ جديدٍ للذهب. وبحلول القرن الثالث عشر، بدأ الطريق الذهبي يفقد أهميته نتيجة تدمير طرق التجارة القديمة بفعل الغزوات المغولية، مما أدى إلى عزلة الهند عن طرق التجارة البرية بين بحر الصين والبحر الأبيض المتوسط، واعتمادها المتزايد على التجارة البحرية المرتبطة بحركة الرياح الموسمية.

وبفضل الرياح الموسمية، أصبحت الهند مركزًا لشبكةٍ تجاريةٍ بحريةٍ مكّنت التجار الهنود من الإبحار بسرعة عبر المحيطات، مستفيدين من هذه الرياح للإبحار غربًا نحو إفريقيا، والوصول إلى الخليج العربي أو عبور البحر الأحمر وصولًا إلى مصر، وقد أسهمت الرحلات البحرية في

تقليص الوقت المستغرق للسفر مقارنة بالطرق البرية. وهكذا، اعتمدت طرق التجارة الرئيسية بين الشرق والغرب خلال العصر الإمبراطوري الروماني على الطريق الذهبي البحري، بدلًا من الطرق البرية عبر بلاد فارس، التي كانت تشهد صراعات متكررة مع روما.

وقد نجحت الصين في تعزيز مكانتها باعتبارها محورًا للعالم الآسيوي من خلال إعادة صياغة تاريخية قومية، حيث أبرزت "طرق الحرير" كشبكة تبادل عالمي سلمي تتمركز حولها الصين كقوة اقتصادية رئيسية. في المقابل، لم تبذل الهند جهودًا كبيرة لمواجهة الرواية الصينية حول طريق الحرير، رغم وجود بعض المحاولات لتسليط الضوء على علاقاتها التجارية باستخدام مفاهيم أخرى بديلة.

يؤكِّد المؤلف مرارًا في كتابه أن الهند كانت مركزًا ثقافيًا وفكريًا بارزًا في آسيا خلال فترة الانتقال من العصور القديمة إلى العصور الوسطى، مما أثر بشكلٍ عميقٍ في الحياة الدينية والفنية في المناطق المجاورة، بما في ذلك الصين. وقد حرصت العديد من الدول الآسيوية على استيعاب التأثيرات الهندية في مجالاتٍ مثل الدين، والفن، والموسيقى، والعلوم. كما اعتُبرت السنسكريتية لغة مقدسة لأكثر من ألف عام، وأعيد توظيفها كلغة أدبية وسياسية بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي، مما أسهم في انتشار اللغة السنسكريتية بسرعة، وأصبحت شائعة في معظم أنحاء آسيا، تاركة أثرًا دائمًا في تسمية المواقع الجغرافية، التي استُلهمت أسماؤها من الأماكن الأسطورية الهندية.

وقد أدى انتشار السنسكريتية إلى تعزيز نقل الآداب والفنون والعلوم الهندية، حيث انطلق من الهند التجار والفلكيون والعلماء والأطباء والنحاتون، بالإضافة إلى رجال الدين والرهبان والمبشرين الذين أسهموا في نشر الفكر الهندي.

ويُعزِّز المؤلف على الأدلة الأثرية التي تشير إلى أن التجار الهنود جلبوا معهم حرفيين مهرة من مناطق مثل سومطرة وبورنيو وشبه جزيرة الملايو وتايلاند للعمل في صناعة الذهب، حيث تشير هذه الأدلة إلى وجود صائغي ذهب هنود في تايلاند خلال فترة الإمبراطورية الماورية في القرن الثالث قبل الميلاد.

ومع تراجع تدفق الذهب من الغرب إلى الهند في القرنين الرابع والخامس الميلاديين، أعادت الهند تنظيم تجارتها الخارجية، مما دفع التجار الهنود إلى استكشاف مصادر جديدة للذهب، مثل منطقة "سوفارنابومي". وقد أسفر هذا التوجه عن ظهور مراكز حضرية جديدة في سريلانكا وميانمار وماليزيا وتايلاند ولاوس وفيتنام وكمبوديا. وكان من أبرز أنشطة هذه التجارة تبادل الخرز والمنسوجات مقابل التوابل والذهب والكافور والراتنج وغيرها من المواد الخام.

وفي القرن الخامس الميلادي، بدأ استخدام طريق بحري مباشر عبر مضيق مالاكا، مما أتاح للتجار الهنود وصولًا أسرع إلى الصين. كذلك لعبت الرياح الموسمية دورًا في تعزيز الروابط بين ضفتي خليج البنغال، مما حولهما إلى كيانٍ ثقافيٍ وجغرافيٍ متكاملٍ ضمن النطاق الهندي. ومع حلول القرن السادس أو السابع الميلادي، غدت منطقة جنوب شرق آسيا محورًا رئيسًا في هذا الفضاء الثقافي الهندي.

وفي القرن الثاني عشر، بلغت إمبراطورية الخمير قمة ازدهارها، فوسعت نفوذها ليشمل مناطق واسعة من كمبوديا الحالية وأجزاء من فيتنام وتايلاند ولاوس، لتصبح بذلك الإمبراطورية الهندوسية الأكبر من حيث الامتداد الجغرافي، متفوقة على الإمبراطورية البيزنطية، المنافسة المسيحية الوحيدة آنذاك. وكان ملوك الخمير يفخرون بصلاتهم الثقافية مع الهند، ويُشير المؤلف إلى أن الآثار الهندوسية والبوذية في جنوب شرق آسيا قد تبدو مختلفة قليلاً عن نظيراتها في الهند، لكنها تظل، مع ذلك، "نتاجًا خالصًا للعبقرية الهندية، التي لا يُدرك عمق معانيها إلا الهندي".

وبحلول القرنين الثاني عشر والثالث عشر، برزت اللغة الفارسية كلغة رسمية وثقافية مهيمنة، حتى في المناطق الهندوسية. وفي القرن التاسع عشر، بدأت الإنجليزية تحل محل الفارسية تدريجيًا بسبب الحكم البريطاني. وقد تميّز الهنود بإتقانهم لكل من الفارسية والإنجليزية، وقدموا إسهامات أدبية بارزة في كلتا اللغتين.

ويختتم المؤلف كتابه قائلًا: تُظهر كتب التاريخ أن الهند كانت في أوج إبداعها وتأثيرها حينما كانت أكثر تواصلاً وتعددية وانفتاحًا، تعكس التعايش بدلًا من صدام الحضارات. إن أعظم ما يميز الهند هو قدرتها على استيعاب الأفكار والتأثيرات الخارجية وتحويلها بطرق مبتكرة وخلاقة. ولأكثر من ألف عام، انتشرت أفكار الهند مع تجارها عبر "الطريق الذهبي"، محدثةً تحولات كبرى، وخلقت منطقة ثقافية تجاوزت الحدود السياسية، شبيهة بالعالم الهيليني، وبفضل قوة الأفكار وليس السلاح، غيَّرت الحضارة الهندية كل ما لامسته في محيطها.

الحقيقة حول قواعد اللغة الإنجليزية

THE TRUTH ABOUT ENGLISH GRAMMAR

جيفري بولم

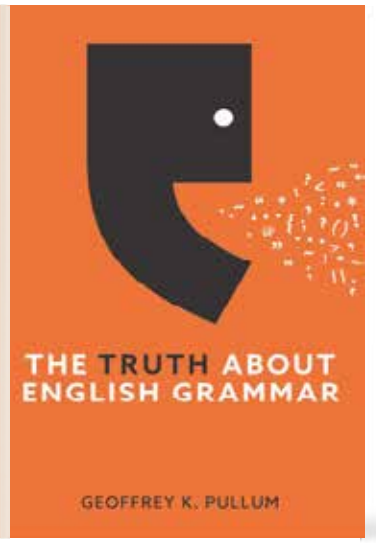

قراءة فوزي الغزالي
عضو الهيئة التدريسية
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

يطرح جيفري بولم في هذا الكتاب إطارًا فلسفيًا مغايرًا لما يعتقده العديد من المتحدثين باللغة الإنجليزية، وهو أن قواعد اللغة ثابتة وترسخت منذ قرون بناءً على ما وضعه النحويون الأوائل. ويرى أن هذا الطرح لا يُعدّ تمردًا على التراث النحوي أو على التراكيب الصرفية للغة الإنجليزية، بل يمثل دعوة إلى الفهم العميق للنحو كأداة مرنة للتعبير الفعّال والكتابة الدقيقة. وينتقد بولم النظرية التقليدية التي ترى أن قواعد النحو غير قابلة للتطوير أو النقاش، مؤكدًا أن النحو ليس مجموعة جامدة من القواعد، بل نظام داخلي عفوي يتبعه المتحدثون بصورة تلقائية، وهو الأساس الذي يجعل اللغة مفهومة وقابلة للاستخدام. كما يؤكد أن اللغة، كالكائنات الحية، تتطور بمرور الزمن. ومن هذا المنطلق، ينتقد المفاهيم النحوية القديمة التي يتم تداولها دون تمحيص، مشيرًا إلى أن العديد من كتب النحو التقليدية تعج بالمغالطات أو المعلومات غير الدقيقة. ويشبه هذا الجمود في تعليم النحو بالركود الذي شهدته العلوم الطبية قبل اكتشاف الجراثيم، داعيًا إلى تحديث قواعد اللغة بما يتماشى مع فهم أعمق وأشمل لطبيعتها المتغيرة. ويطرح بولم رؤيته في هذا الكتاب لتحرير النحو من التحجر، مشددًا على ضرورة التعامل مع قواعد النحو كوسيلة للإبداع والتعبير بدلًا من كونها قيودًا تعيق الفكر. كما يؤكد أن كسر قواعد اللغة لا يتم بصورة عشوائية أو اعتباطية، وإنما من خلال الفهم العميق لتراكيبها الصرفية والنحوية بما يُمكّن المبدعين من مخالفتها بشكل واعٍ ومدروس. ويشدد بولم كذلك على أن النحو يمثل العمود الفقري للأسلوب الكتابي، وأن تحسين الأسلوب يتطلب استغلال الإمكانات النحوية بشكل فعّال بدلًا من التقيد الصارم بالقواعد الجامدة. وختامًا، يسعى بولم من خلال هذا الكتاب إلى تقديم تصور جديد ومبسط لفهم النحو الإنجليزي، مع التركيز على تقديم قواعد دقيقة وعملية تساعد على تحسين الكتابة والتعبير بأسلوب يتجاوز القيود التقليدية، مما يفتح المجال أمام لغة أكثر مرونة وقدرة على مواجهة التحديات الثقافية واللغوية المعاصرة.

ملخص الكتاب:

يقترح كتاب "الحقيقة حول قواعد اللغة الإنجليزية" لجيفري بولم رؤية لغوية مفادها أن اللغة كيان حي ومتغير، يخضع للتطور وفقًا لمتطلبات العصر واحتياجات مستخدميه، وأن النحو ليس مجموعة جامدة من القواعد الصارمة، بل هو مجال مرن وقابل للتطوير. ويرى بولم أن علماء اللغة في كل حقبة يتحملون مسؤولية إعادة النظر في النظم النحوية وتكييفها لتلبية تطلعات الكتّاب والمبدعين. ولكنه، في هذا الكتاب، ينتقد الفهم التقليدي المتصلب الذي يعتبر قواعد النحو الإنجليزي قوانين غير قابلة للنقاش، مشابهة في صرامتها للقوانين الدينية أو التشريعية. هذا الفهم، وفقًا لبولم، يكرّس صورة نمطية مخطئة عن علماء النحو بوصفهم أوصياء على قواعد لا تخضع للتغيير.

فعلى الرغم من الجمود الصارم في النحو الإنجليزي، شهد علم النحو الطبيعي للغات البشرية الأخرى في القرن الماضي تحولًا كبيرًا ليصبح مجالًا يجمع بين طابع العلوم التجريبية والمواد الأدبية، مثيرًا لفضول الباحثين ومحفزًا للاستكشاف المستمر. على الرغم من ذلك، يواجه هذا المجال تحديات جوهرية؛ إذ تتنافس رؤيتان متناقضتان ظاهريًا، ولكنهما تشتركان في محاولتهما فرض منطق صارم ونظام مطلق على قواعد النحو، بما يتجاوز ما يمكن أن تدعمه الدراسات الموضوعية.

تتمثل الرؤية الأولى في "المدرسة التقليدية للتوجيه النحوي"، التي يروّج أنصارها لفكرة أن قواعد النحو هي مبادئ ثابتة وواضحة وضعتها مرجعيات لا تقبل الجدل منذ قرون، وكأنها سُلِّمت للبشرية على ألواح حجرية، أو أنها استنتاجات منطقية تنبثق من الحس السليم. ويعود هذا المنهج إلى قرون مضت، على الأقل منذ أعمال روبرت لوث عام 1762، وما زال تأثيره حاضرًا حتى اليوم؛ فهو يشكل الأساس لمعظم الكتب الشائعة حول الكتابة الصحيحة بالإنجليزية، ويؤثر بعمق في نظم تعليم اللغة الإنجليزية واختباراتها.

بينما تتمثل الرؤية الثانية في "الاتجاهات الحديثة في اللسانيات النظرية"، التي تنظر إلى القيود والمبادئ النحوية بوصفها مواضيع للاستكشاف والتحقيق، وليست

قواعد محددة تستدعي الولاء لها. ومع ذلك، فإن هذه الاتجاهات تعكس، في بعض الأحيان، نوعًا من التفكير المستوحى من مفهوم "التصميم الذكي"، حيث يتم الإصرار على أن تعقيدات النحو يجب أن تكون قابلة للتفسير بآليات بسيطة وعالمية فقط، وكأن مهندسًا لغويًا بارعًا قد صمّمها بعناية فائقة.

ويعتبر جيفري بولم كلا النهجين مضلِّلين وغير متسقين مع الأبحاث الحديثة والنتائج التي توصلت إليها الدراسات الجادة للنظم النحوية في اللغات البشرية، والتي ترى أن النحو ليس نظامًا مغلقًا من المبادئ غير القابلة للتغيير، كما أنه ليس تصميمًا مثاليًا بُني على قواعد بسيطة، بل هو كيان حيّ ومعقَّد يعكس التنوع والتطور الذي يميز اللغات البشرية.

وفي نمط نحوي صريح، تطرق جيفري بولم إلى استخدام كلمات الاستفهام في اللغة الإنجليزية في الجمل التي تُعرف باسم (الجمل الاستفهامية المفتوحة - Open Interrogative Clauses)، وفي جمل الوصل التي تُستخدم فيها أدوات الاستفهام كأدوات ربط، مثل (جمل الوصل المقيدة - Restrictive Relative Clauses)، و (جمل الوصل غير المقيدة - Non-Restrictive Relative Clauses).

فعند استخدام أداة الاستفهام (Whose)، نجد أن استخداماتها لا ترتبط بشكل واحد، وأن هناك عدة استثناءات يصبح استخدامها فيها صحيحًا أو غير صحيح من وجهة نظر المتكلمين الأصليين للغة الإنجليزية. ففي المثال (Whose car is this?)، استُخدمت (Whose) كأداة استفهام صريحة يستفهم المتكلم من خلالها عن صاحب هذه السيارة، وهذا استخدام صحيح وصريح.

ولكن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد؛ ففي المثال (The man whose car broke down)، نجد استخدامًا آخر لكلمة (Whose) في سياق جملة وصلية تابعة (Dependent Clause)، لا يكون مكتملاً لأن هذه الجملة التابعة تحتاج إلى جملة مستقلة أخرى (Independent Clause) لكي يكتمل المعنى كما في المثال التالي: (The man whose car broke down was a bit nervous)

ولا يتوقف استخدام هذه الكلمة عند هذا الحد؛ ففي المثال (I helped the man whose car broke down)، يمكن الاستغناء تمامًا عن عبارة (whose car broke down) نظرًا لاكتمال المعنى في الشطر الأول من الجملة. وهذا ما يُطلق عليه اسم (جمل الوصل غير المقيدة - Non-Restrictive Relative Clauses).

وفي موضع آخر، يكون استخدام أداة الوصل غير صحيح، مثل: (I helped whose car broke down)، وذلك لأن (Whose) تأتي بين اسمين يرتبط أولهما بالآخر بعلاقة ملكية. وعليه، فإن استخدامها بعد الفعل الماضي (helped) يُعتبر شاذًا عن المألوف في استخدام هذه الكلمة بصيغها المختلفة، سواء ككلمة استفهام أو كأداة وصل.

ومن وجهة نظر جيفري بولم، لا يمكن استخدام جميع كلمات الاستفهام في كل التراكيب، مستشهدًا بما قاله تشيسترتون في عام 1908: "قد نكتشف أن الحياة ليست ضربًا من اللامنطق، بل فخًا للمنطقيين؛ لأنها تبدو أكثر انتظامًا مما هي عليه في الواقع، حيث تكمن الفوضى في التفاصيل الدقيقة".

وقد يكون استخدام كلمات الاستفهام منطقيًا إذا كانت تتوزع بشكل منتظم عبر التراكيب المختلفة، كأن تكون هناك مجموعة مخصصة من الكلمات لكل تركيب، مثلما يحدث في اللغة الهندية، التي تبدأ فيها كلمات الاستفهام بـ (k) في الجمل الاستفهامية و بـ (j) في جمل الوصل. وهذا لا يحدث في اللغة الإنجليزية، حيث تُستخدم بعض كلمات الاستفهام بشكل محدود في تراكيب معينة دون الأخرى.

ولا يعتبر جيفري بولم في رؤيته هذه ناقدًا للمنهج العلمي المثالي، فمن الممكن تحديد الخصائص المشتركة بين التراكيب الاستفهامية وجمل الوصل، مع تجريد التفاصيل المتعلقة بكلمات الاستفهام لأغراض تفسيرية. لكن الإنكار الكامل للواقع المتعلق بالتباين بين التراكيب الاستفهامية وجمل الوصل يمثل جدلاً كبيرًا بين الأصوليين والحداثيين من أهل اللغة.

وفي مثال آخر عن إشكاليات قواعد اللغة الإنجليزية، يطرح جيفري بولم المعضلة الجدلية حول توافق الفعل والفاعل في جمل اللغة الإنجليزية أو ما يُطلق عليها (Subject-Verb Agreement)، والتي تشكل في كثير من الأحيان تحديًا كبيرًا للطلبة المتحدثين بلغات أخرى مثل الصينية أو الفيتنامية، التي تفتقر إلى بنى نحوية مشابهة. حيث يرى بعض اللغويين أن التوافق النحوي في الإنجليزية مجرد عملية بسيطة تهدف إلى تحقيق انسجام بين السمات النحوية للفاعل والفعل، فيُختار الشكل الصرفي المناسب بناءً على السمات الموجودة في الاسم الرئيسي بالعبارة الاسمية، كما هو الحال في صيغة (He eats) للشخص الثالث المفرد في الزمن الحاضر. ولكن الواقع أكثر تعقيدًا، والاختلافات بين اللهجتين الأمريكية والبريطانية كبيرة في تحديد التوافق النحوي، وخاصة مع أسماء الجموع (Collective Nouns).

ومن أمثلة التباين بين الإنجليزية البريطانية والأمريكية، يتم استخدام تعبير مثل (The government is working on it)، والتي تعتبر كلمة "الحكومة" (government) ككيان واحد، بينما نجد أنه في الإنجليزية البريطانية يُفضل استخدام التركيب (The government are working on it). والتي تشير إلى أن الحكومة لا تعتمد على شخص بعينه ولكنها مجموعة من الجهات والمؤسسات المختلفة. وفي هذا تم اعتبار كلمة (government) كاسم جمع يتبعه فعل في صيغة الجمع (are) على عكس المثال الأول في الإنجليزية الأمريكية الذي تبعه الفعل المفرد (is). وقد يعتبر البعض أن مرد ذلك يعود إلى نظرة فلسفية تعكس

الفرق بين الأيديولوجية الأمريكية المتحررة من القيود اللغوية النمطية والعقيدة البريطانية المحافظة التي قد ترى في الحفاظ على النظام اللغوي المتوارث حفاظًا على هوية لسانية راسخة، حتى وإن كانت بعض تراكيبها النحوية والصرفية غير مبررة أحيانًا.

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، حيث إن التأثير الدلالي يلعب دورًا مهمًا في تحديد المعنى، وقد تختلف دلالة المقال وفقًا للمقام الذي استخدم فيه. ففي المثال (England Collapse)، يشير ببساطة إلى خسارة فريق كرة القدم الإنجليزي للمباراة، بينما يشير التعبير (England Collapses) إلى كارثة تصيب إنجلترا. وفي مثال آخر من قبيل (Cornflakes makes a delicious breakfast)، تم اعتبار الفاعل الرئيسي في الجملة مفردًا ومن ثم جاء متبوعًا بالفعل (makes) الذي يدل على حال الفعل المضارع المفرد، بينما يستخدم عدد آخر من المتكلمين الأصليين العبارة نفسها بصيغة الجمع (Cornflakes make a delicious breakfast) دون أي تبرير واضح للفرق بين التركيبين للجملة نفسها. ويزداد الأمر تعقيدًا كلما زاد التعمق في الاستثناءات التي يمكن تبريرها أو معرفة الجواب الصحيح لها في معظم الأحيان. وهناك عدة أمثلة تكون جميع التراكيب فيها صحيحة رغم اختلاف صياغاتها ودلالاتها مثل: (No single student was there / No students were there). وفي كل هذه الأمثلة، لا يوجد أي عدد من الطلبة يمكن القياس عليه واعتباره اسمًا مفردًا أم جمعًا.

وانطلاقًا من هذا، يرى جيفري بولم أن اتفاق الفعل والفاعل في اللغة الإنجليزية مسألة معقدة للغاية، تنطوي على دلالات الألفاظ وكذلك بناء الجملة. وتعكس هذه الظاهرة رؤية مغايرة لما يطرحه النحو التوليدي، إذ تتداخل الجوانب الدلالية والنحوية لتشكيل توافق متغير. وكما أشار جيري مورغان، فإن المتحدثين يتعلمون مبادئ أساسية للتوافق بين الفعل والفاعل في اللغة الإنجليزية، لكنهم يضيفون استثناءات لمعالجة الحالات المعقدة. هذا التراكم قد يؤدي إلى نظام متعدد المستويات من المبادئ الفرعية. ويُبرز هذا الطرح الطبيعة المحلية وغير الكونية لهذه الظواهر، ويكشف حدود النحو العالمي (Universal Grammar) في تفسيرها الذي تعود مرجعيته إلى نعوم تشومسكي.

ويرى جيفري بولم أن الفرضية القائلة بأن اللغات البشرية أنظمة بسيطة ومنظمة تخضع لنظام عالمي من القواعد النحوية، ما يجعلها قابلة للتفسير بمنتهى البساطة ويُظهرها كنظام مثالي أو شبه مثالي للتواصل، تُعدّ رأيًا بعيدًا عن الدقة، بل وقد يكون استخدامها مربكًا لبُعدها عن الواقع. وفي هذا السياق، يؤمن بولم أن اللغة البشرية ليست نظامًا رسميًا مترابطًا خاليًا من التكرار، بل أشبه بمكتبة واسعة تحتوي على أنواع متنوعة من التركيبات المترابطة. تختلف هذه التركيبات في إنتاجيتها، وتكرارها، وأعمارها. كما هو الحال في أي مكتبة، نجد محتويات من أعمار متفاوتة: فبعض التركيبات تمثل استعارات لغوية قديمة تعود لقرون خلت مثل (as it were / be it ever so humble)، بينما نجد الآن تعبيرات أخرى أكثر حداثة من ذي قبل مثل: (How cool is that! / Oops, my bad!). هذه المكتبة الضخمة تُكتسب وتُستوعب وتُستخدم بدرجات متفاوتة بين الأفراد عبر عملية تتطلب تعرضًا مكثفًا يؤدي إلى إلمام عميق، يُفضي بدوره إلى مستوى معين من الأتمتة. ويتم تقليل العبء العقلي للتخزين من خلال وجود فئات متكافئة بلا حدود تقريبًا من الكلمات التي تشترك في السلوك النحوي ذاته.

ويتماشى هذا التصور لجيفري بولم بدرجة كبيرة مع الرؤية التي يتبناها أنصار نظرية النحو التركيبي (Construction Grammar) أمثال تشارلز فيلمور، وبول كاي، وأديل غولدبرغ، وغيرهم. ومع أن هناك قضايا مفتوحة حول كيفية صياغة نظرية النحو التركيبي بشكل كامل، إلا أن الفكرة الأساسية تبدو لجيفري بولم صحيحة في جوهرها. ولكن تطوير هذه الرؤية بشكل كامل يتطلب برنامجًا بحثيًا يمتد لعقود. ويمكن النظر إلى كتاب (قواعد كامبريدج للغة الإنجليزية - The Cambridge Grammar of the English Language) وكذلك نظرية النحو التركيبي كخطوة نحو توفير الأساس الوصفي لهذا المشروع، وكجهد للابتعاد عن نوع اللسانيات النظرية التي غالبًا ما تميل إلى انتقائية مفرطة وتنظيم رتيب بالكامل، وذلك لأنهما لا يمثلان عودة إلى النحو التقليدي، الذي يعاني بدوره من أوجه قصور كبيرة.

ويذهب المؤلف إلى نتيجة مفادها أن النحويين التقليديين امتلكوا تصورًا أعمق عن طبيعة اللغة البشرية مقارنة بما قدمته نظرية القواعد التوليدية. ومع ذلك، اعتمدوا، كما يفعل معظم النحويين في مجالات التعليم والتطبيق حتى اليوم، على نظام تحليلي بقي ثابتًا دون تغيير يُذكر لمدة تقارب القرنين، وربما لفترة أطول، متسمًا بالجمود والاستمرارية. وتعود جذور هذا النظام التحليلي إلى ما يقرب من أربعة قرون مضت منذ أعمال روبرت لوث (1762) والأعمال السابقة التي استند إليها. ومما يدعو للغرابة أن هذا التقليد التحليلي يُشكّل الأساس لجميع القواميس المطبوعة اليوم ومعظم كتب القواعد الموجهة للجمهور العام، سواء الدارسين الأصليين للغة الإنجليزية أو الناطقين بغيرها. ويوضح جيفري بولم أن الإشكاليات الأساسية لهذا التقليد تكمن في الالتباس المزمن بين ثلاثة مفاهيم يجب التمييز بينها بوضوح، وهي: الفئات النحوية (أصناف الكلمات)، الوظائف النحوية (العلاقات النحوية)، والخصائص والعلاقات التي تدخل ضمن مجال الدلالة.

واستعرض المؤلف ما أقر به الفيلسوف البريطاني جون ويلكنز

عما تعلمه عن القواعد النحوية طيلة فترة دراسته، حيث قال: "اجتزت 12 عامًا من التعليم الحكومي، وكانت معرفتي النحوية مقتصرة على: الأسماء هي كلمات الأشياء، الأفعال هي كلمات الأفعال، والصفات هي كلمات الوصف. وأشك أننا تناولنا الظروف". ويعلق جيفري بولم بأن المأساة هنا تكمن في أن جون ويلكنز ربما لا يبالغ في وصف تجربته. ولكنه في الواقع كان قادرًا على التمييز بين الأشياء نفسها وكلمات الأشياء، وبين الأفعال وكلمات الأفعال، مما قد لا يتوفر لدى الجميع معرفته في الوقت الحاضر.

ويتضح ختامًا أن اللغة ليست كيانًا جامدًا يُختزل في قواعد محددة غير قابلة للتغيير، بل هي نظام حيّ يتطور باستمرار لتعكس حاجات المجتمع الثقافية والتواصلية. وقد أوضح جيفري بولم في هذا الكتاب كيف أن النهج التقليدي الذي يكرّس الصرامة في التعامل مع قواعد النحو يعيق استيعاب الطبيعة الديناميكية للغة، مما يبرز الحاجة إلى رؤية أكثر مرونة وشمولية لفهم اللغة واستخدامها.

كما قدم نقدًا موضوعيًا للرؤى المثالية لنظرية القواعد التوليدية، موضحًا أن تعقيد اللغة وثراءها لا يمكن اختزالهما في مجموعة من المبادئ العامة أو النماذج الموحدة. بل إن اللغة تعكس تعقيد العلاقات البشرية وتنوعها، مما يجعلها أقرب إلى مكتبة واسعة من التركيبات المتعددة والمترابطة، تتطلب دراسة متأنية وشاملة تأخذ في الحسبان الاستخدام الواقعي والتطبيقات العملية.

إن هذا الكتاب يدعو إلى إعادة النظر في النظم التحليلية التقليدية، والاعتراف بالدور المركزي للتنوع اللغوي والتفاصيل الدقيقة في فهم الظواهر اللغوية. كما يؤكد على أهمية التوازن بين النظريات المجردة والتطبيقات العملية، بما يتيح تطوير أدوات تعليمية ومعرفية تسهم في تحسين تعلم اللغات واستخدامها في السياقات المختلفة. ويظل النقاش الذي أثاره جيفري بولم وغيره من اللغويين البارزين حجر الزاوية نحو رؤية مستقبلية تعترف بالطبيعة الإنسانية المتغيرة للغة، بوصفها أداة للتواصل والتعبير عن التجربة البشرية بثرائها وتعقيدها.

بين المساجد

رحلة في بريطانيا المسلمة

Among the Mosques

A Journey Across Muslim Britain

شيرعلي تارين

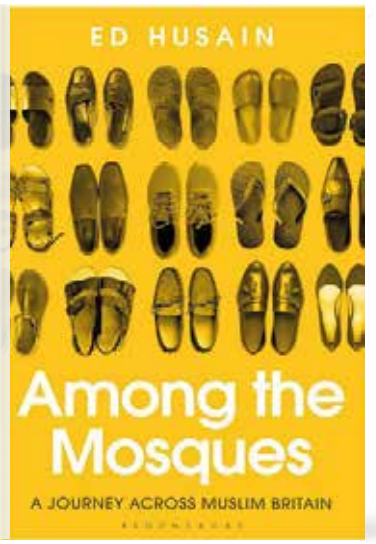

قراءة سليمان الظاهر
عضو الهيئة التدريسية
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

إد حسين:

يوثّق الأكاديمي البريطانيّ من أصول هندية إد حسين في هذا الكتاب مجموعة من اللقاءات التي أجراها والرحلات التي قام بها في مساحة واسعة من المملكة المتحدة، والتي خصّص أغلبها لزيارة المساجد والمراكز الإسلامية في مدن بريطانية عدّة؛ ويناقش الكتاب عددًا من المسائل المهمّة التي ترتبط بواقع المسلمين في بريطانيا، وقضايا اندماجهم، وبنية المؤسسات الدينية التي يمتدّ نفوذها وسلطتها خارج جدران المساجد، ويتبع لها عدد من المجتمعات في أكثر من حيّ وضاحية؛ ويطرح الكتاب أيضًا مفارقة الهجرة والاندماج، إذ يُعَدّ النموذج البريطانيّ منذ نهاية الحرب العالمية الثانية الأفضل غربيًّا من جهة استقبال أعداد كبيرة من المهاجرين المسلمين مع توقع اندماجهم وذوبانهم في المجتمع الكبير، ولكنّ المكون الإسلاميّ اليوم يحرص على تكريس التمايز بينه وبين المجتمع البريطانيّ معتنقًا شكلَ التدين الأكثر راديكالية.

عرض الكتاب:

إد حسين مؤلّف وباحث بريطانيّ من أصول آسيوية، وأستاذ في جامعة جورج تاون، وله عدد من المؤلّفات التي أثارت الجدل عند صدورها، ومنها: المجتمع الإسلاميّ، ودار الإسلام؛ أمّا كتابه (بين المساجد: رحلة في بريطانيا المسلمة) فهو ما سيعرضه هذا المقال؛ فالعنوان يشير إلى أنّ حسين يسعى في هذا الكتاب إلى الإجابة عن مجموعة من الأسئلة التي تتعلّق بالنموّ المتسارع لمجتمع المسلمين في بريطانيا، إذ تشير الإحصاءات المستقبلية إلى أنّ عدد المسلمين سيبلغ فيها ثلاثة عشر مليون نسمة عامَ 2050، ومع هذا النمو المتسارع المتوقَّع يطرح الكاتب سؤالًا جوهريًّا عمّا يحمله المستقبل لهذا البلد مع تزايد أعداد المسلمين، وهل ستستطيع بريطانيا تحمّل وجودهم والتكيف معه وهي التي لم تستطع تحمّل الأوروبيّين أنفسهم؟ وذلك في إشارة إلى خروج المملكة المتّحدة من الاتّحاد الأوروبيّ الذي كان أحد أسبابه تزايد هجرات مواطني دول الاتّحاد الأُخرى إليها مستفيدين من حرية التنقّل فيه.

ما المصير الذي ينتظر المسلمين في هذه البلاد؟ وما التبعات التي ستُفرض حين تصبح غالبية السكان في برادفورد وبلاكبيرن وبرمنغهام وليستر وسلاو ولوتون وبعض أحياء لندن من المسلمين؟ تأتي وجاهة هذه الأسئلة من أنّ زيادة العنصر الإسلاميّ لا بدّ أن تؤثّر في صياغة التوجّه الدينيّ والسياسيّ والاجتماعيّ داخل التركيبة السكانية للبلاد، ثمّ في مستقبلها.

ولدراسة هذا النموّ وفهمه، ولفتح الباب أمام استشراف نتائجه، يسلّط الكاتب الضوء على التزايد المتسارع للمساجد في مختلف أنحاء بريطانيا، فيختار مجموعة من المدن التي تستقرّ فيها هذه المساجد، وهي المدن التي سنذكرها تباعًا كما وردت في الكتاب واحتلت عناوين فصوله التسعة إلى جانب المقدّمة والخاتمة: فما حال هذه المساجد اليوم؟ ومَن المسؤول عن انتشارها؟ وماذا يحدث فيها؟ وكيف تؤثر المؤسسات الرسمية الإسلامية المشرفة عليها في حياة الناس والبلدات التي تستضيفها؟ وللإجابة عن هذه الأسئلة عمد الكاتب إلى زيارة المدن التسع في أنحاء بريطانيا، فكان يقصد المسجد المركزيّ في كلّ بلدة أيام الجُمَع، ليحضر الصلاة فيه ويعاين بنفسه خُطْبتَيْها، وليرصد أيضًا محتوى الأحاديث، أو المقابلات التي يجريها -سواء أكانت عفوية أم مقصودة- مع السكان في تلك المدن.

على الصعيد المنهجيّ يوفّق حسين في كتابه بين أساليبَ وأدواتٍ منهجية متعدّدة تناسب طبيعةَ موضوع الكتاب وتمايز مستويات المشكلات التي يعرضها، فيمزج بين الأسلوب الوصفيّ وأدوات الملاحظة المباشرة من جهة، أو يعتمد أسلوب التداعي التاريخيّ أو المقارنة النقدية بين الأدبيات الإسلامية النظرية وتعيناتها في الواقع العمليّ من جهة ثانية، ولا سيّما لدى الشرائح التي يستهدفها كتابُه، أي واقع المسلمين في بريطانيا بمختلف مرجعياتهم الفكرية والمدارس الدينية الرئيسة

التي ينتمون إليها، أو شكل الوعي الدينيّ الذي يحدّد رؤاهم ووجهات نظرهم، ويوجه طبيعة استجاباتهم الاجتماعية والقيمية والسلوكية.

يفتتح إد حسين مقدّمة كتابه (بين المساجد: رحلة في بريطانيا المسلمة) بالإشارة مباشرة إلى الإشكالية التي يرى ضرورة الإسراع في تسليط الضوء عليها بوضوح وبلا أيّ مواربة أو تأجيل، فـ"إذا كان مجتمع المسلمين "واحدًا من أسرع المجتمعات نموًا في بريطانيا فإنّ التوجّه الدينيّ والسياسيّ والاجتماعيّ داخل هذه التركيبة السكانية هو ما سيصوغ مستقبل البلاد"؛ ثم يشير الكاتب إلى أنّ مئة عام فقط تفصل بين يوم كان في بريطانيا مسجدان اثنان وعصرنا الحاليّ الذي يزيد عدد مساجد بريطانيا فيه على ألفَيْ مسجد، ويؤكد المؤلف أهمية ألّا تُعَدّ هذه الحالة ظاهرة عرضية، بل إنّ نتائجها المحتمَلة تستحقّ ألّا نحجم عن طرح الأسئلة الصعبة حولها، مِن قَبيل: ما التبعات التي ستفرضها الزيادة السكانية لأعداد المسلمين؟ وكيف سيغيّر هذا حركة الأمة البريطانية؟ ... إلخ؛ لأنه -كما يحذّر الكاتب- إن لم تُطرَح هذه الأسئلة فستفرض الأصوات المتطرّفة مستقبلًا من الانقسام والدمار اللّذَين سيصيبان جميع مكوّنات المجتمع البريطانيّ الدينية والعرقية.

ثمّ يوضح المؤلّف أنّ المشكلة التي يُعنى بها كتابه لا تتعلق بتزايد عدد السكان المسلمين، بل بنوع الإسلام الذي يزدهر اليوم في المساجد البريطانية، ويوضّح ما يرمي إليه فيقتبس من إبراهام لينكولن مقولته الشهيرة: "يستحيل تدمير أمريكا من الخارج، ولكن إذا تذبذبنا وخسرنا حريتنا فسيكون ذلك لأننا دمّرنا أنفسنا"، ويعقّب على هذه المقولة متسائلًا: ما وضع الحريات اليوم في بلدات بريطانيا ومدنها؟

في الفصل الأول يتوجّه المؤلّف إلى مدينة ديوسبري، فيصف زيارته للمسجد المركزيّ فيها، وهو أيضًا المقرّ المركزيّ الأوروبيّ لجماعة (الديوبندية) التي تُعدّ أكبر منظمة إسلامية في العالم، تأسست عام 1927 في الهند للحدّ من إضعاف الهوية الإسلامية في المدن التي انفتحت على التاج البريطانيّ، ومع ذلك يذكر الكاتب أنّ أكثر من نصف مساجد بريطانيا لهذه الجماعة، ولعلّ سبب انتشار تأثيرها أنها تنتهج منهج التبشير بعيدًا عن السياسة؛ وتحتوي المدينة أيضًا مساجد أخرى قد لا ينتمي بعضها إلى هذه الجماعة على المستوى الفكري، ويشير حسين إلى أن معم قاصديها من الآسيويين الملتحين ممّن يرتدون الثوب الأبيض الطويل وإلى جانب زيارة المركز والمسجد الملحق به يشير إلى أنّ داخل المركز مدرسة دينية لتخريج العلماء وفقهاء الدين، ليبيّن أن الطابع الغالب على هذا النوع من المدارس هو التزام تقاليد إسلامية كانت سائدة في القرن الثامن بعيدًا عن التصوف، ولذلك تُمنع النساء من دخول المسجد درءًا للفتنة ولمنع الرغبات غير الملائمة، ولهذا المنع وغيره من الأسباب يلاحظ الكاتب الامتعاض السائد لدى السكان الأصليّين في المدينة، لا لزيادة عدد المساجد فيها فحسب، بل لأثر ذلك في تغيير نمط الحياة والمظاهر الاجتماعية العامة في بلدتهم.

والفصل الثاني عن مدينة مانشستر، يعرض فيه حسين زيارة مسجدها المركزيّ في ساحة كبيرة تعلوها طبقة علوية مخصَّصة للنساء تحتوي شاشات تُمكّنهنّ من متابعة إمام المسجد مباشرة؛ ويسهب الكاتب في عرض تفصيل أداء صلاة الجمعة وما رافقها، كإنشاد قصيدة البردة للبوصيريّ عقب الصلاة، وطبيعة الترحيب بالناس بنبرة مفعمة بالحبّ الإلهيّ، ليدلّ بذلك على طبيعة المنهج الصوفيّ الغالب على مسلمي المدينة، ويؤكّد هذا أنّ معظم الحاضرين للصلاة كانوا يرتدون اللباس الغربيّ؛ وفي معظم الزيارات التي يسردها الكاتب يسلّط الضوء على أهمّ الأحاديث والحوارات التي يجريها مع الآخرين، من الأصدقاء ممّن يلتقيهم مصادفة، والغالب أن تكون هذه الحوارات موجَّهة فيها أسئلة مقصودة، فنستنتج مثلًا من الحوارات في مانشستر أنّ الصوفية التقليدية تُعدّ مصدر الإلهام لتيّار إسلاميّ كبير يُدعى (جماعة البربلوية) التي تأسست على يد أحمد رضا خان في أواخر القرن التاسع عشر لمناهضة الحركة الديوبندية، وتُعدّ البربلوية أكبر فئة مسلمة في بريطانيا بعد الديوبندية، إذ يتبعها نحو 45% من مساجد البلاد.

وبمقارنة مسجد مانشستر المركزيّ بمساجد بلدة ديدسبيري التي وصفَها بأنّها "مُسيَّسة" -كما مرّ في الفصل الأول- نجد أنّه يتصف بالنقيض، إذ ينصبّ الاهتمام فيه على العلوم الدينية المختصّة بالقرآن الكريم فقط؛ وحين يزور الكاتب أحد مساجد روتشديل حيث يلتقي إمامَ المسجد ذا التوجّه الصوفيّ -وقد كان معلّمَه في السابق- نجده يحلّل أثر التوجّه الصوفيّ في هذا المسجد والمدرسة الملحقة به، مستدلًا على ذلك بالسلوك العامّ للمصلّين الذي يكون مفعمًا بالحبّ والسلام، مكرَّسًا لعمل الخير لأجل الجميع ولتعميق الشعور بالانتماء إلى الوطن البريطانيّ؛ ثمّ يقدّم الكاتب انطباعاته التي ولّدتها زيارة مركز التراث الإسلاميّ البريطانيّ ومعرضه عن الحضارة الإسلامية.

وفي الفصل التالي يتحدّث المؤلّف عن زيارته للمسجد الرئيسيّ في مدينة بلاكبيرن، ثمّ يوضّح أنّ الطابع الديوبنديّ يغلب على معظم مساجدها، إذ لا يُسمح للنساء بدخول المساجد فيها لأنّ المرأة فتنة في نظرهم، ولا يقتصر التأثير الديوبنديّ على المساجد، بل يعمّ مجمل المدينة ونمط العيش فيها؛ ويرصد الكاتب أيضًا بحديثه إلى بعض سكان المدينة الأصليّين انزعاجهم لسيطرة الآسيويّين على المنطقة وازدياد عدد المساجد فيها زيادةً لا تناسب عددهم في المدينة.

ويختتم هذا الفصل بالحديث عن زيارته لمدرسة دار العلوم العربية الإسلامية التي تدعمها جماعات إسلامية من خارج بريطانيا، ويعقّب

على ذلك بتحليل المخاطر التي ينبغي استشعارها مستقبلًا في بلاكبيرن بسبب الانقسامات المبنيّة على العرق والدّين والتنوّع الاجتماعيّ.

أمّا برادفورد -وهي المحطة التي يقصدها الكاتب في الفصل الرابع- فتُعدّ ثالث أكبر المدن البريطانية من حيث عدد المسلمين فيها بعد لندن وبيرمنغهام، لتزايد عدد المهاجرين المسلمين إليها في منتصف القرن العشرين، لأنها مدينة صناعية تشتهر بصناعة الصوف، وتستدعي الصناعات فيها مزيدًا من اليد العاملة؛ ويُبدي الكاتب حماسه لزيارة المسجد الرئيسيّ في برادفورد الذي بناه مريدو التصوّف التابع لـ(بير معروف)، وهم قادة صوفيّون لهم تأثير كبير في سكان المدينة من المسلمين، ولهم اليد الطولى في إدارتها، لأنّ السياسيّين يحتاجون إلى دعمهم وكسب أصواتهم للفوز في الانتخابات؛ وتحتوي برادفورد رسميًّا 103 مساجد يضمّ معظمها مؤسّسات غير رسمية تدرّس الأطفال واليافعين؛ ويسلّط الكاتب الضوء على ظاهرة التشوّه الجينيّ بين الأطفال بنسبة 4-10% بسبب زواج القربى بين العائلات الباكستانية كثيرة الانتشار في المدينة.

وفي صلاة الجمعة في مركز برادفورد الإسلاميّ - وهو فرع للمجلس الإسلاميّ في بريطانيا - يبيّن الكاتب أنّ المسجد مفتوح للرجال والنساء، وأنّه مزدحم بالمصلّين على خِلافِ الجوامع الأُخرى في المدينة التي اشتهرت بحرق كتاب سلمان رشدي (آيات شيطانية) عام 1989، وها هي ذي اليوم مدينة تخلو من الأعلام البريطانية كما تخلو من المسلمين البيض أو الأزواج من أعراق مختلفة، ومعظم مدارسها إسلامية تفرض على طالباتها لبس الحجاب في مرحلة مبكّرة من أعمارهنّ.

ويُشيد حسين في الفصل الخامس الذي خصّصه لزيارة برمنغهام بعراقة المدينة وقبولها للتنوّع والتعدّد الذي يجسّد روح الدولة البريطانية، ولكن الحال ستنقلب في أطراف المدينة في ضاحية (ألوم روك) ذات الأغلبية الإسلامية، والتي تغيب عن شوارعها محالّ البضائع البريطانية الشهيرة لتحلّ مكانها مكتبات إسلامية، أو متاجر بيع الملابس للمحجّبات، أو محالّ الجزارة التي تبيع الطعام الحلال؛ ويسوق لنا الكاتب كعادته فحوى أحاديثه إلى الآخرين ليشير إلى المشكلات التي تنجم عن علاقة المهاجرين المسلمين الجدد بالمجتمع المحليّ، ولا سيّما رفضهم التزام القوانين العامة، أو سخطهم على سياسة التعليم الحكومية.

وفي أماكن أُخرى ذات غالبية مسلمة في برمنغهام يتحدّث الكاتب عن الصراع الفكريّ الإسلاميّ/ الإسلاميّ بين التيّارين الصوفيّ والسلفيّ، وهذا الصراع يجري بين مواطنين بريطانيّين على أراض بريطانية، ولكنّ جذره الحقيقيّ يعود إلى البلاد الإسلامية التي قدم منها مسلمو بريطانيا، ويوضح الكاتب أنّ المسلمين من التيّار الصوفيّ هم الأكثر قلقًا من نتائج هذا الصراع، ومن انزلاقه نحو العنف والإرهاب، ومن ثَمّ ستكون آثاره سيّئة في حياة المسلمين البريطانيّين جميعًا، وفي عائلاتهم وأطفالهم في المدى البعيد.

ويتابع الكاتب في بقية الفصول التي تشتمل على زيارة المدن البريطانية الأُخرى: كارديف، وبلفاست، وإدنبرة، وغلاسكو، ثمّ لندن في الفصل الأخير، المنهجَ نفسَه في رصد انطباعاته عن هذه المدن، ثمّ يسترسل في وصف مساجدها وسلوك المصلين فيها، ويختار للقرّاء أهمّ الحوارات التي أجراها مع الآخرين، متعمّدًا دائمًا توجيه حديثه نحو الموضوعات المتصلة بفكرة الكتاب الرئيسية التي تهتمّ بواقع المسلمين في بريطانيا وهامش الحرّيّات العامّة الذي يحظَوْنَ به، وما ولّده هذا الهامش من نتائج مناقضة لمبدأ الحرّية نفسه، كانغلاق بعض التجمّعات المسلمة على نفسها، لا لأنّها تخلو من البريطانيّين غير المسلمين فحسب، بل من المسلمين المنتمين إلى أعراق أخرى؛ وفضلًا عن ذلك يعمد الكاتب في مناسبات عدّة إلى الاستطراد في الحديث عن العقيدة الإسلامية وأحكامها الفقهية العامّة مع وصف سلوك المصلّين، أو التعقيب على بعض العبارات والمفردات التي تحتاج إلى التوضيح أو كشف ارتباطها بالثقافة الإسلامية بمصادرها المتعدّدة.

ولخاتمة كتاب (بين المساجد) كمقدّمته أهميّة نوعيّة تميّزهما مِن بقيّة الفصول، إذ إنّ ما تناوله إد حسين في الفصول التسعة في سياقات قصصية وحوارية ووصفية يعود فيتناوله في الخاتمة بوصفه إشكاليةً نظرية تعمل على إغلاق الملفّات المفتوحة التي أثار فيها أهمّ المسائل المرتبطة بموضوعه، ونقصد واقعَ مسلمي بريطانيا اليوم وإخفاق اندماج أعداد كبيرة منهم في الفضاء الاجتماعيّ السائد، والسمات التي تجمعهم إلى جانب الأُخرى التي تفرّق بينهم، وواقع الانغلاق والتعصّب المهيمن على بعض فئاتهم الذي لا يُستبعَد انزلاقه نحو العنف، وفي ضوء هذا كلّه يسأل الكاتب كيف ستكون صورة مستقبل السكان المسلمين عليه، ومستقبل بريطانيا بجميع سكانها؟

انقسمت خاتمة الكتاب -وقد جاء تحتها العنوان الفرعيّ الآتي: (بين الماضي والحاضر والمستقبل: بريطانيا إلى أين؟) إلى ثلاث فقرات؛ وتحت الفقرة الأولى بعنوان: (حاضرنا) يشير حسين إلى القيمة العظيمة التي يدلّ عليها ازدهار المساجد في بريطانيا، وهي قيمة التسامح، ويعدّها من الأفكار المهمّة التي تصوغ مستقبل أيّ بلد، مبيّنًا "أنّ النمو الواضح للإسلام في الغرب وانحسار المسيحية في الشرق الأوسط حتى في بيت لحم لا يتعلّق بالأفراد، بل بالأفكار التي نتركها تصوغنا وتصوغ مستقبلنا في نهاية الأمر".

يؤكّد حسين أيضًا -وهو البريطانيّ المسلم- أنّ الإسلام سيكون ملحوظًا ومسموعًا أكثر مع توقّع

زيادة حضور المسلمين في الحياة البريطانية، ولذلك لا بدَّ من أن يُطرح النقاش حول نوع الإسلام الذي يريده البريطانيّون، ولا يعني ذلك أنّ المؤلّف يدعو إلى إسلام جديد، بل إلى الأفكار الإسلامية الأصيلة نفسها التي تدعم تناغم الأمّة ومستقبلها، فيستشهد على هذه الأفكار بسلوك النبيّ محمّد عليه الصّلاة والسّلام حين دعا المسيحيّين ليجتمع بهم في مسجده، وسماحه لهم بالصلاة فيه، وأنّ المسيحيّين وجّهوا دعوة مماثلة إلى عمر بن الخطاب خليفة الرسول الثاني ليصلّيَ في كنيسة القيامة فأبى الصلاة فيها خوفًا من أن يتذرّع المسلمون به مستقبلًا ويحوّلوا الكنيسة إلى مسجد؛ ويعلّق حسين على هاتين الحادثتين بقوله: "إنّ الثقة المطلقة لدى النبيّ محمّدٍ، ورؤيا عمر التي تتّسم باحترام الآخرين، من الأمور التي أجد معظم المساجد التي زرتها]في بريطانيا[في حاجة ماسّة إليها".

في ظلّ استمرار هذه الحال وتطوّرها يؤكّد المؤلّف أنّ مكوّنات المجتمع البريطانيّ متّجهة نحو التحوّل إلى قبائل منفصلة ذات هويّات مختلفة متعارضة، وأنّ فجوةً ضخمة تحدث في المجتمع لأنّنا لا تحدّث بصراحة عن مخاوف المسيحيّين والملحدين من الإسلام، ولا عن مخاوف الإسلام الحاليّ من اللّيبرالية، وأنّه لا يجوز الإحجام عن سدّ هذه الفجوة بذريعة الخشية من توهّم الإهانة المحتمَلة إلى أيّ طرف من الأطراف.

ويسأل حسين: إذا كانت الأفكار التنويرية البريطانية عن التسامح والتعدّد والتنوع، إلى جانب نهج الدولة العلمانيّ، هو ما يجعل إقامة المساجد ممكنة في البلاد، فكيف يمكننا اليوم مواجهة المفارقة التي تنتج عن هذا الواقع في ظلّ تحوّل معظم المساجد إلى معابد عرقيّة مغلقة على إثنيّات معيَّنة، وتُمنَع منها النساء لا من حيث إدارتها والإشراف عليها فحسب، بل قد يُمنَعْنَ مِن الصلاة فيها أحيانًا؟ ويسأل حسين أيضًا: ما الذي حلّ بالتسامح والتعدّد في ظلّ هذا الوضع القائم إذن؟!

إنّ ما يميّز إد حسين في هذا الكتاب أنّه استطاع أن يتحدّث بلسانٍ واحد بصوتين اثنين، صوت المسلم العارف بتاريخ الإسلام وحاضره وجوهره، وصوت المواطن البريطانيّ المحبّ لوطنه والحريص على حاضره ومستقبله، ولذلك يتناول في الفقرة الثانية من الخاتمة بعنوان: (ماضينا) ماضيَ الإسلام بما فيه من غنًى حضاريّ وثقافيّ صنعه مسلمون تميّزوا بالعلم والفنّ والابتكار والفكر، كالمعتزلة والفارابيّ وابن سينا وابن رُشْد والخيّام وابن خلدون الذي يستشهد بكلامه في مناسبات عدّة، ثمّ يتناول ماضيَ بريطانيا بما يعتقد أنّه تمجيد عادل لمكانتها ودورها المفصليّ في أهمّ مراحل التاريخ العالميّ الحديث، وهو الدور الذي ما كان ليتحقّق لولا قيم الحرية والانفتاح وقبول الآخر في الثقافة الوطنية للبلاد؛ ويشير حسين أيضًا إلى أنّ علاقة بريطانيا بالإسلام كانت حاضرة في تاريخها أكثر ممّا هو متوقَّع، فهي علاقة لا تقتصر على مشاركة الجنود المسلمين في الحرب العالمية فحسب، أو في المعارك بين الأوروبيّين والدولة العثمانية، بل كانت الملكة فيكتوريا شديدة الاهتمام بالإسلام، ودرست المتصوّفة والقرآن وتعلّمت العربيّة، وقبلها الملكة إليزابيث التي حالفت المسلمين في منتصف القرن السادس عشر ضدَّ ملوك أوروبا الكاثوليك.

وفي ضوء المقارنة بين الحاضر والماضي ينبه حسين بعنوان الفقرة الأخيرة من الخاتمة: (مستقبلنا) على أنّ التفريط في هذا الإرث الإنسانيّ (البريطانيّ الإسلاميّ) سيقود البلد نحو الأسوأ، أمّا إذا لقيت سماته العنايةَ والحفاوة والتعزيز في الحياة العامّة فهذا سيعزّز الدور الإيجابيّ لجميع مكوّنات البلاد، ومنها الإسلام والمساجد والمسلمون، وبذلك يتحقّق الاندماج الذي يصنع بريطانيا الحديثة.

ويختم الكاتب بتعداد ستّ سمات أساسيّة اتّسم بها الشعب البريطانيّ بهذا الاندماج الذي جعل الأمّة البريطانية حصيلة امتزاج متعدّد الثقافات والحضارات في قرونٍ مضت، وهذه السمات الستّ هي: حكم القانون، والحرّية الفردية، والمساواة بين الجنسين، والانفتاح الاجتماعيّ والفكريّ، والشخصية المتفرّدة للأمّة، والتكافؤ بين الأعراق.

ويُنهي المؤلّف كتابه (بين المساجد: رحلة في بريطانيا المسلمة) أخيرًا بوصيّة يوجهها إلى البريطانيّين الذين يَعُدّ نفسه واحدًا منهم، فيقول: "إذا فقدنا إرثنا فسنفقد أنفسنا... أمّا إذا بَقينا واثقين بهويّتنا الوطنية فسوف يتشارك المسلمون وأقرانهم الآخرون من المواطنين في مشاعر الفخر والانتماء، ولا مشكلة في المهاجرين والمسلمين، بل علينا نحن تقع المسؤولية في أن نتمسّك بأسلوب حياتنا، وألّا نتسامح أمام التعصّب، لأنّ مستقبل بلدنا كلّه يعتمد على هذا الأمر"، ويقصد دمج الإسلام المعاصر بالثقافة البريطانية، ورفض كلّ أشكال التعصّب التي تدّعي نسبتها إلى الدين الإسلاميّ.

الأفكار الدينية الخطيرة

الجذور العميقة للنقد الذاتي للإيمان في اليهودية والمسيحية والإسلام

Success and Suppression

The deep Roots of Self-Critical Faith in Judaism, Christianity and Islam

راشيل ميكفا

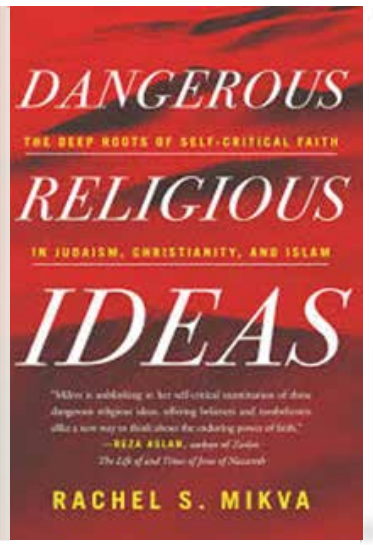

قراءة خالد ترغي
مجلس الإمارات
للإفتاء الشرعي

قد يوحي عنوان الكتاب أعلاه الصادرِ سنة 2020 عن منشورات BEACON PRESS أنه مجرد نقد منهجي للأفكار الدينية المتداولة في الأوساط المتطرفة لدى الأديان الثلاثة، على غرار كتابات أكاديمية أخرى معروفة؛ لكن بمراجعة فهرس الكتاب يتضح أن أستاذة الدراسات اليهودية بكلية اللاهوت في مدينة شيكاغو الأمريكية اتَّجهت في نقدها وتحليلها إلى "أفكار" هي من صميم الدين ولا يُظن أن تكون مصدر الخطر.

جاء تصميم بحثها على أربعة أقسام: تضمن الأوَّلُ مقدمة وفصلا يشرح المقصود بأجزاء عنوان الكتاب؛ ثم القسم الثاني استوعب خمسة فصول تعالج موضوع النصوص المقدسة وكيفيات تأويلها واستثمارها سلبا أو إيجابا؛ وبشكل أدق عُني القسم الثالث بتحليل مفهوم "الاختيار" أو "الاصطفاء" وإمكانيات انعكاساته المتقابلة في خمسة فصول أيضا؛ ليُخصَّصَ القسم الرابع لمسألة تداولِ الخطاب الديني في المجال العام.

وكان من حياد الكاتبة تقديمُها لنفسها بفقرة "من أكون"؛ في إشارة أن خلفياتها واتجاهاتها الفكرية والسياسية والأكاديمية ستؤثر في فهمها للأفكار الدينية وطرق تحليلها. كما نبَّهت على عدم تخصُّصها فيما عدا اليهودية من الأديان، مُقرَّة أن ذلك قد يُعرِّض آراءها للمساءلة، ومعتمدة شعار التعددية الدينية قيمةً للتعايش في الوسط الأمريكي. وبالنسبة لمنهجية التحليل فقد أشارت إلى استعانتها بمفاهيم ومعارف أكاديمية متنوعة.

التزمت الباحثة في أول فصول الكتاب موقف الحياد من "جميع الأفكار الدينية"، واعتبرتها في ذاتها، كما الأديان الثلاثة في كُلِّيتها، قابلةً لأن تكون عاملا إيجابيا وضروريا في حياة الأفراد والمجتمعات؛ كما يمكن أن تُستَغل وتُؤوَّل بما ينحرف بها إلى مسالك التطرف والعصبية والعنف. وليست هذه المقابلة خاصة بأصحاب الفكر المتطرف والأصولي بل تعترض كل متدين، خاصة إذا غاب عنه الحِسُّ النقدي لأفكاره الإيمانية.

في هذا السياق شدَّدت MIKVA على أن الأفكار الدينية التي قد نعتبرها عادية أو معتدلة أو من صميم الإيمان، ولا نلتفت إلى ما تحتمله من مضامين أو تأويلات سلبية، قد تؤدي بنا إلى خطر العنف والكراهية وإقصاء الغير، حتى لو لم يكن لدينا توجُّه متطرف وقاصد لذلك؛ وهذا ما تؤكده الأحداث والوقائع. بالمقابل ردَّت ادِّعاء كون الخطاب الديني لا ينبغي أن يُتناوَل إلا من جوانبه المعبِّرة عن قيم السلام والمحبة فقط، واعتبرت أن هذا الاتجاه في تصوير الخطاب الديني لا يساعد على مواجهة الوقائع بما يلزم من النقد والتمحيص.

بهذا الصدد أيضا شبَّهت الكاتبة الأفكار الدينية النافعة بالمعادن النفيسة الموجودة في الطبيعة على هيئات تقتضي عملا وجهدا في التنقيح والتصفية من الشوائب العالقة بها، لاستخلاص النافع والصالح منها. وطوال تحليلها ومناقشتها للأفكار الدينية لم تُغفل الكاتبة التذكير بأهمية الأديان في تأسيس هوية الأفراد وقيم المجتمعات؛ علما أن هذه الأفكار غالبا ما تُصاغ في منظومة عملية تجعلها أحكاما ووقائع خارجية.

وكما سبقت الإشارة فقد يَصدم القارئ أن أول "فكرة دينية خطيرة" وقفت عليها الكاتبة بالتحليل المستفيض هي "النصوص المقدسة" نفسها، لا باعتبارها وحيا إلهيا يؤسِّس لمعتقد الإيمان ولكن حجج مسلَّمة ومُستعلية ومُطْلقة وشاملةٌ تُفرض على كل من خالف، بل قد تُصاغ في شكل أيديولوجيات إقصائية، حتى غيَّبت هذه الفكرة، في كثير من الأحيان، النَّظرَ في أصل هذه النصوص وكيف صارت إلينا وبأي معنى هي؛ وكيف أن التدخُّل البشري حاضر في جميع مراحلها: عند وضعها أو في تفسيرها والترجيح بينها أو الاستدلال بها.

بعد تقرير خطورة الفكرة وتجلِّياتها تنتقل الكاتبة للتعقيب باحتمالات النقد والتفسير والتوجيه... التي قد

ترفع عن النصوص خطورتها أو تحُدُّ منها، وذلك من ذات التراث النقدي/ الفقهي للفكر الديني. هذه المحاولة في تقديري تُعتبر جهدا نوعيا من الكاتبة بما أنها لم تتولَّ النقد بنفسها بل تتبَّعت موارده في مظان الفكر الديني بالاستعانة والإشارة إلى أهمية المنهجية الأكاديمية في تلقي ومراجعة ذلك النقد؛ كما استشهدت لذلك بأعلام من الأديان الثلاثة اشتهروا بالنقد الذاتي كموسى بن ميمون وتوما الأكويني وابن رشد.

وفي الفصول المُخصَّصة للوقوف على أشكال التعددية الفكرية، وآليات النقد الذاتي، والمفاهيم المؤسِّسة والتجارب السابقة للحدِّ من خطورة الأفكار الدينية في الأديان الثلاثة، حاولت الكاتبة ضرب الأمثلة واستحضار الشواهد على إمكان نهج التعدد والنقد الذاتي؛ وكأنها تريد أن تقول: إن هذا النقد/ اختلاف الفهم قد شَمِل الأفكار الدينية كلها حتى تأثر بسياقات مختلفة، وأن نهجنا ذلك لا يُعدُّ خروجا عن الملة أو انفصالا عن الإيمان. وإن كان في بعض عباراتها نوع تعميم وإطلاقات في إسناد المواقف وترجيح الأحكام.

لقد وقع ذلك أثناء تحليلها للقدرات الذاتية في الفكر الديني لتدبير الخلاف وانتهاج النقد من إطلاقات تعُم الأديان الثلاثة، باعتمادها -ربما تقليدا- على مصادر لا تُعدّ مشهورة ولا متداولة في أوساط تلك الأديان، خصوصا الإسلام. وعلى سبيل المثال: حديثها عن الخلاف بين المسلمين بلا تمييز بين أصول وفروع؛ واستشهادُها بحديث نزول القرآن على سبعة أحرف أن المسلمين اعتبروه تشريعا للخلاف بإطلاق؛ وأن طريقة الإرجاء ظهرت في التاريخ الإسلامي لتوحيد المجتمع وتدبير الخلافات بين الفِرق والمذاهب بإرجاء الأحكام إلى الآخرة... على أنها أقرَّت بأن كثيرا من الأفكار التفسيرية المتعلقة بالإسلام جاءت في سياق استعماري أو استشراقي.

وفي الواقع المعاصر شدَّدت الكاتبة على ضرورة الاعتراف والتعامل مع خطورة فكرة "النصوص المقدسة" بتواضع علمي وتسامح ديني وحرية فكرية، على أساس ألا أحد يملك الحقيقة المطلقة؛ مُحذِّرة في الآن نفسه من تسييس الخطاب الديني في المجال العام واستغلاله في البرامج والشعارات السياسية.

في القسم الثالث من الكتاب أخذت فكرة "الاصطفاء أو الاختيار" (Chosenness) وما يقاربُها أو يتفرع عنها من مفاهيم وأحكامِ الاستعلاء على الغير الحيِّزَ الأكبر من الأفكار الدينية الخطيرة التي حاولت الكاتبة تتبُّعها في مراجع الأديان الثلاثة. وكان من إنصافها في هذا المقام تمييزها بين تصوُّر الفكرة وتَبِعاتها في التقاليد الإبراهيمية؛ وإن كانت تروم نقد الآثار السَّلبية المترتبة عنها على كل حال. فجاء سؤالها في مواجهة الخطر هنا بديهيا: لماذا ربُّ الناس جميعا اختار بعضهم على حساب غيرهم؟ وما التجاوزات التي قد تتبع هذه الدعوى؟

وجوابا كانت فكرة "السيطرة أو الغزو" انطلاقا من الأفضلية الدينية المذكورة من أخطر التجاوزات، بما لها من شواهد كثيرة في تاريخ البشرية لم تفتُر الكاتبة عن ذكر بعضها، وإن أقرَّت بأن الفكرة الدينية لم تكن العامل الوحيد لذلك. ومن جملة الأفكار الخطيرة التي ناقشتها ضمن هذا الموضوع ما قد يترتب عن الإيمان بالاختيار من رفض وبغض للغير؛ وكأن عدم الاختيار نوع عقوبة إلهية. وبالرجوع إلى النصوص والكتابات الدينية في هذا السياق ذكرت الباحثة أن القراءة التاريخية لهذه النصوص قد تكون البديل الوحيد للمحافظة عليها.

كما أقرَّت بصعوبة الانفكاك عن هذه الأفكار المُتجذِّرة في الثقافة الدينية بالرغم من المحاولات الإصلاحية المتكررة، وخصوصا أن نتائج هذه المحاولات لا تحظى باتفاق الأوساط الدينية والفكرية. كما نبَّهت إلى جهات التقابل في تأويل هذه الأفكار: فالعقاب الذي يلحق المختار قد يُحمل على الاختبار عند مُوافِقه، كما قد يُعتبر عند خصمه عقاباً وغضباً لقاء عدم التزامه؛ مما يُعقِّد معالجة خطورة الفكرة. وفي ثنايا التحليل ألَحَّت الكاتبة على أن هذه الأفكار بقدر ما يظهر فيها من خطورة بقدر ما يمكن حملُها على ما ينفع ولا يضر.

وتمثيلا لبعض مضاعفات خطورة فكرة الاصطفاء ذكرت الباحثة أن الخلاص في الإيمان المسيحي ينبثق عن ذات الفكرة، وأنه يُعرَض في بعض الكتابات اللاهوتية بديلا لفكرة "شعب الله المختار" الأولى؛ بالرغم من أن معناه قد لا يرد كذلك في النصوص المقدسة. كما أدرجت أفكارا من قبيل النسخ وتقسيم الدور في المفهوم الإسلامي تحت ذات الفكرة مُعتبرةً أنها تدور في فلكها؛ لكنها وقفت بالتقدير على فكرة الفطرة السليمة في القرآن ومقابلتها فكرةَ الخطيئة الأصلية المسيحية، وانعكاسات كل منهما على تَمثُّل الهداية والاختيار.

في الفصل الأخير من القسم الثالث أكَّدت راشيل ميكفا على استمرارية التحديات المتعلقة بفكرة التفضيل في التقاليد الإبراهيمية المتأخرة، سيما ضمن السياق الأمريكي. فعرضت هنالك آراء معاصرة على طرفي النقيض: من يَعتبر الأفضلية الإيمانية وجوديةً في الهوية الدينية؛ ومن يدعو إلى تنحيتها أو تأويلها بما يدفع "الإمبريالية الدينية" الموهومة. وساءلت الفكر الكنسي المعاصر عن مدى وصوله إلى جواب السؤال المركزي: هل يدخل المؤمنون غير المسيحيين في الخلاص الإلهي؟ كما لاحظت الكاتبة أن سلسلة المحاولات الإصلاحية في السياق الإسلامي ارتبطت بالمجال السياسي والثقافي والديني. أما بالنسبة "للخصوصية الأمريكية" فقد تتبَّعت الكاتبة تعالُق فكرة الاختيار بالاتجاهات الفكرية والسياسية الوطنية والعلمانية، مستشهدةً على ذلك بأقوال لجملة من القادة والمفكرين الأمريكيين التي تُقرِّر "خاتمة اختيار الإله" للأمة الأمريكية لقيادة البشرية.

وخصَّصت الكاتبة آخر مطالب بحثها لتتبُّع حضور الأفكار الدينية في

المجال العام الأمريكي من خلال مثال العدالة الجنائية؛ واعتبرت تمهيدا أن "العقل العام" خير من "اللاهوت العام" إذا أدرنا الحفاظ على مكاسب التعددية. كما وافقت دعوة المؤمنين لإبراز قيمهم ومبادئهم في قالب المصالح العامة التي يمكن أن يقتنع بها الجميع حتى من غير المؤمنين. بهذا الصدد شاطرت من وجَّه مفهوم "العلمانية" إلى أنها ليست إزاحةً للدين من الشأن العام بقدر ما هي إعادة تكوين للحقيقة الدينية في نطاق أوسع لا احتكار فيه لأحقِّيَة الصواب.

أما بخصوص العدالة الجنائية فقد كانت للباحثة وقفةٌ خاصة مع الفكرة الدينية للثواب والعقاب و انعكاساتها على الشؤون العدلية. ولم تَعدم الأمثلة من الخطابات الدينية في ازدراء المصابين والمنكوبين بدعوى العقوبة الإلهية، في مقابل مظاهر الرضا الذاتي عند بعض الأثرياء والمرموقين باعتبار مكانتهم علامةً على الثواب الإلهي. لكنها وقفت أيضا على وظيفة الوعي الديني في مواساة المحكومين والمظلومين و مساعدتهم على مجاوزة العواقب الجنائية؛ وكيف يمكن للفكر الديني استثمار النصوص المقدسة للأخذ بأيدي الجناة إلى رحابة باب التوبة والغفران بدل اجترار خطابات التأثيم والانتقام. وبسبيل من هذا نوَّهت بالنصوص الإسلامية وأسبَقِيَّتها في التأسيس لقواعد عدلية من قبيل حالات درء الحدود والحثِّ على الوساطة والصلح عند التنازع.

ختاما أكَّدت الكاتبة أنه مهما قيل عن خطورة الأفكار الدينية، وتنامي الحجج العقلية، وتطوُّر المعارف العلمية فإن الدين ظل مقاوما لكل ذلك واستمر وجوده واقعا في حياة الأفراد والمجتمعات. ثم دعت طُلابها في دروس "الأفكار الدينية الخطيرة" إلى الإقبال على قراءة الكتب التي تَتَبنّى الرأي المخالف، وحتى التي تنتهج الاتجاهات الإلحادية الجديدة؛ بأن تكون مناقشة ما فيها من نقد للدين سبيلا لصقل حقائقه وتحييد ما قد يكمن فيها بالفعل أو بالقوة من مخاطر، سيما في العلاقة والحكم على الآخر. واعتبرت أن خير ما تُزرع به "المساحة بين الطرفين" -وفق قوة المنطق الديني نفسه- الأثر الإيجابي المشهود لصالح البشرية جمعاء.

المجلات العلمية المحكمة

أطلقت جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية ثلاث مجلات علمية محكمة تكون مرصدا للتطورات البحثية في مجالها، ثم تُتبعها مستقبلا بسلسلة من الكتب العلمية.

و احتفت الجامعة بإطلاق العدد الأول من المجلات العلمية الثلاث بحضور رؤساء تحرير وشريكه العلمي "بريل العالمية للنشر" وذلك في منصة الجامعة بمعرض أبوظبي الدولي للكتاب.

الجيل المتوتر
The Anxious Generation

جوناثان هايدث

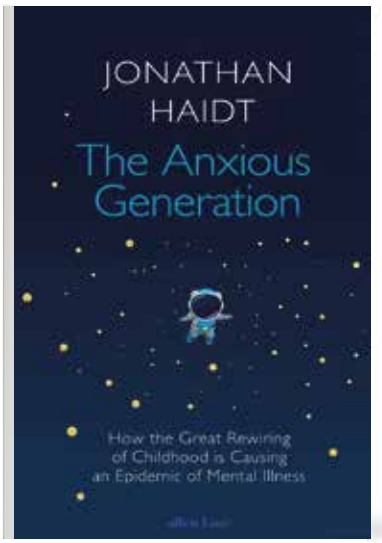

قراءة محمد السماك
مفكر وكاتب في
الحوار الديني والثقافي

يعالج الكتاب قضية تربوية على درجة عالية من الأهمية. تتعلق هذه القضية بالجيل الجديد وبمدى تأثير وسائل التعليم الحديثة (الإلكترونيات) على شخصيته وعلى نفسيته، وبالتالي على سلوكه الاجتماعي. لا يقدّم الكتاب صورة وردية. يرفع المؤلف الصوت عالياً محذراً من المخاطر المستقبلية. ويقدم إحصائيات عديدة عن المدى الذي ذهبت إليه التحولات التربوية المعاصرة، ويتوقف بصورة خاصة أمام ظاهرة الأمراض النفسية.

يقدّم المؤلف دراسات تتناول تحديداً المجتمع الأميركي، ويقول إن إحصائيات رسمية أجريت في عام 2019 بيّنت أن خُمس الطلاب في المدارس الأميركية مصابون أو إنهم عولجوا فعلاً من أمراض نفسية. ويقول إن هذه النسبة تزيد عشرة بالمائة عما كانت عليه قبل عقد من الزمن!!.

ويقدم المؤلف إحصائية ثانية يقول فيها إن نسبة الانتحار بين المراهقين من الشبان والشابات تضاعفت منذ عام 2010. ويعزو ذلك إلى أجهزة التواصل الاجتماعي المحمولة التي تصرف الاهتمام عن العلاقات الإنسانية وعن الشؤون الاجتماعية المتبادلة. وهكذا بدلاً من التعامل مع عالم صغير ومحدود، ينتقل الشاب المراهق أو الشابة المراهقة إلى التعامل مع العالم الافتراضي اللامحدود والوهمي، ويعيشه ويتعايش معه حتى إذا عاد إلى واقعه، غالباً ما يُصاب بخيبات الأمل.

يفسّر هذه الظاهرة، الارتفاع الحاد في نسبة المنتحرين من المراهقين. رغم الانعكاسات الخطيرة لهذه الظاهرة الاجتماعية، فإنها ليست جديدة. ففي عام 1982 مثلاً صدر كتاب في الولايات المتحدة عنوانه: اختفاء الطفولة The disappearance of Childhood، للباحث الاجتماعي نيل بوستمان. وفيه يتهم المؤلف المراهقين بتقليد كبار السنّ في ارتكاب الموبقات مثل شرب المسكرات وارتكاب الجريمة، واستسهال استباحة ممارسة الجنس. وفي هذا الكتاب يلقي المؤلف اللوم على أجهزة التلفزة في الدرجة الأولى، باعتبارها الناقل الأساسي، وبالتالي المسبّب الرئيس لكل هذه "الموبقات".

وقبل ذلك، في عام 1935 نشرت مجلة "هاربر" دراسة عن الجيل الجديد في الولايات المتحدة ،أي جيل الثلاثينات، أعدّها الباحثان الاجتماعيان ريتشارد هيلمان وجورج لايتون. وصفت الدراسة الجيل الأميركي في ذلك الوقت بأنه "جيل عفن غارق في الجريمة". وأنه "يتهاوى أمام أنظارنا ونحن مكتوفي الأيدي". وحمّل انتشار المخدرات (الماريجوانا) في حينه، مسؤولية كبرى. كما حمّل الظروف الاقتصادية التي تسبّبت في ارتفاع حاد في نسبة البطالة، مسؤولية إضافية أكبر. ولكن ذلك الجيل الذي أُغدقت عليه كل تلك الأوصاف هو الذي خاض الحرب العالمية الثانية وساهم في إنقاذ العالم من النازية ومن خطرانتشارها.

لا يقتصر بحث المؤلف على إلقاء الضوء على أسباب الأزمة التي تقول إن شبان وشابات اليوم يواجهونها، ولكنه يقدّم مقترحات لمعالجتها. من هذه المقترحات مثلاً دعوته إلى دفع الشباب إلى "الهواء الطلق"، إلى شواطئ البحر، وإلى الملاعب المفتوحة، والتركيز على العلاقات الإنسانية المباشرة، وليس على أجهزة التواصل الإلكتروني. ويؤكد المؤلف على أهمية انتقال العلاقة من الآلة أو عبرها إلى الإنسان مباشرة.

ويذهب المؤلف إلى أبعد من ذلك، فيقول إن المبالغة في حماية الأطفال تؤدي إلى تعرّضهم إلى أمراض نفسية في مطلع شبابهم، الأمر الذي يدفعهم إلى الانغماس أكثر في ثقافة التواصل الاجتماعي المنفتحة بلا سقف ولا حدود.

ولمعالجة هذا الأمر بأبعاده النفسية السلبية الخطيرة ،كما يصفها المؤلف، يقترح تشجيع الطلاب (في سنّ المراهقة وما دون ذلك) على ممارسة الرياضة في الهواء الطلق، وحتى على عقد الأقسام الدراسية في الهواء الطلق أيضاً. ويقدم وصفة تقوم على الركض أكثر، والدراسة أقل!

الطريف في هذا الكتاب أن مؤلفه أجرى تجربة على نفسه. فقد تعمّد منح ولده جهاز هاتف محمول لمراقبة التحولات السلوكية التي يمرّ بها. وسجّل وقائع تلك التحولات عن كثب، ومن ثم أقام عليها نظريته التربوية. من أجل ذلك لاقت دراسته صدى إيجابياً في المؤسسات التعليمية والتربوية في الولايات

المتحـدة واختيـر كتابـه رائداً في هذا الميدان. ولم يكتفِ بالتجربة الذاتية الحيّة، ولكنـه أجرى مقارنة بين أوضاع الطلاب الذين تخلّوا عن هواتفهم الذكية والآخرين الذين تمسكوا بها، ليؤكد على النظرية التي خرج بها عن الآثار السلبية للتربية على قاعدة الإدمان أو عدمه على أجهزة التواصل الاجتماعي. مع ذلك، فإن الكتاب يطرح علامة استفهام كبيرة حول ما إذا كان ما يصحّ فـي مجتمـع معيّـن يصحّ فـي كل المجتمعات الأخـرى. فالمؤلف يعالج وضعاً خاصـاً لمدينة نيويورك. وليسـت كل المدن الأميركية نيويورك، وليست كل دول العالم الولايات المتحدة الأميركية. ثم إن القواعد التربوية والأخلاقية متعددة ومختلفة باختلاف المجتمعات في العالم ثقافياً وتربوياً. وبالتالي فإن ما قد يكون صحيحاً في مدينة أميركية كبرى، قد لا يكون صحيحاً فـي مـدن أميركية أخرى، وخاصة فـي دول ومجتمعات تعتمد قواعد مختلفة للتربية وللعلاقـات العائلية والاجتماعية. تبقى أهمية الكتاب في أنه يعالج ظاهرة تربوية يمكن أن تنتشر مع الوقت، الأمر الذي يجعل من هذا الكتاب جرس إنذار للتصدي الاجتماعي المبكر لأخطار تربوية محتملة.

تنظيم برنامج
الانغماس اللغوي والحضاري
11 نوفمبر - 21 ديسمبر 2024

استقطبت جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسـانية 24 طالباً من مختلف دول العالـم في الـدورة الأولـى من برنامـج «الانغماس اللغـوي والحضـاري»، الذي اسـتمر حتـى 21 ديسـمبر 2024. وقـد هـدف البرنامـج إلـى مد جسـور التواصل الحضاري والثقافي مع الشعوب على أساس القيم الإنسانية المشتركة، وإبراز الصـورة الإيجابيـة عـن دولة الإمـارات من خلال التعـرُّف على القيـم النبيلة التي يتحلى بها مجتمع الدولة.

الفينيقيون
وتشكيلهم لحضارة البحر المتوسط
Phoenicians
and The Making of the Mediterranean

كارولينا لوبيز رويز

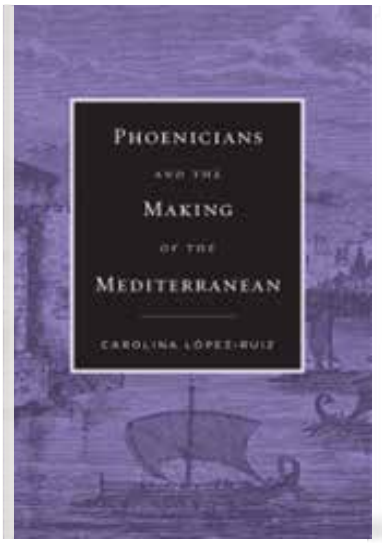

قراءة هيثم مزاحم
أستاذ جامعي لبناني

يتناول كتاب "الفينيقيون وتشكيل المتوسط" للباحثة الإسبانية كارولينا لوبيز - رويز الفترة الحرجة من القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد باعتبارها حقبة انتقالية في تاريخ البحر الأبيض المتوسط. وتحاجج المؤلفة بأن الفنيقيين هم من أسسوا لهذه الحقبة التي شكلت حضارة دول المدن الساحلية القديمة وهي صور وصيدا وجبيل، في لبنان الحالي. ومن خلال شبكات التجارة البحرية الواسعة النطاق، عزز الفينيقيون مستوى غير مسبوق من الترابط بين مجتمعات البحر الأبيض المتوسط المتنوعة، مما سمح بتعزيز تبادل السلع والثقافات والتقاء الأفكار. وغالبًا ما يشار إلى هذه الفترة باسم مرحلة "الشرقنة" Orientalizing، والتي تميزت بتبني الزخارف الفنية والتقنيات الشرق أوسطية من قبل ثقافات البحر الأبيض المتوسط المختلفة.

تعرض الكاتبة الخلفية التاريخية من خلال تسليط الضوء على الطبيعة المجزأة للبحر الأبيض المتوسط في أعقاب انهيار حضارات العصر البرونزي المتأخر حوالى 1200-1100 قبل الميلاد. إذ أدى هذا الانهيار إلى تراجع التبادل التجاري والثقافي، مما أدى إلى فترة يشار إليها غالبًا باسم "العصور المظلمة". ومع ذلك، فقد شكل القرن الثامن قبل الميلاد نقطة تحول حيث بدأت الديناميكية الاقتصادية في الظهور من جديد، مدفوعة إلى حد كبير بالفينيقيين. وأصبح تأثيرهم واضحًا حيث لم يكن من الممكن للمرء أن ينتقل من صور إلى مضيق جبل طارق من دون مواجهة الموانئ والمستوطنات الفينيقية على طول الطريق.

وتعتقد المؤلفة لوبيز-رويز أن هذا الترابط ليس مجرد نتاج للقرب الجغرافي بل يعود للاستراتيجيات التجارية التي اعتمدت آنذاك بالإضافة الى السياسات الاستعمارية الفينيقية. فمن خلال إنشاء طرق تجارية ومستعمرات على طوال امتداد البحر الأبيض المتوسط، وضع الفينيقيون حجر الأساس لشبكة معقدة من التبادل الثقافي مهدت الطريق لأول ثقافة متوسطية عالمية حقيقية.

الأسس الاقتصادية للتوسع الفينيقي

تستكشف الباحثة في عملها هذا الدوافع الاقتصادية وراء التوسع الفينيقي، لتؤكد أنه لم يكن عشوائيًا بل كان مدفوعًا باستراتيجيات تسعى وراء الموارد الحيوية. فقد سعى الفينيقيون إلى المناطق الغنية بالمعادن - وخاصة النحاس والفضة والحديد - بالإضافة إلى الأخشاب والأراضي الزراعية لدعم شبكاتهم التجارية. كانت هذه الموارد حاسمة ليس فقط لدعم تجارتهم البحرية ولكن أيضًا للحفاظ على مكانتهم كفاعلين مؤثرين في اقتصاديات حوض المتوسط.

تؤكد المؤلفة أن المشاريع التجارية للفينيقيين وصلت إلى السواحل الأطلسية في شبه الجزيرة الأيبيرية والمغرب، مما يوضح مدى انتشارهم الواسع. ويناقش الكتاب كيف أسس الفينيقيون مستعمرات ومراكز تجارية في مناطق غنية بالموارد، مستغلين الشبكات المحلية للوصول إلى المواد والسلع القيمة. لم تسمح هذه الاستراتيجية للفينيقيين بالازدهار اقتصاديًا فحسب، بل سهلت أيضًا التبادلات الثقافية مع المجتمعات التي تفاعلوا معها.

ظهرت أشكال جديدة من الكتابة خلال هذه الفترة، مما مكّن الطبقة المتعلّمة المتنامية من التنقل عبر تعقيدات هذا العالم المترابط. كان الفينيقيون في طليعة هذا التحوّل، حيث استخدموا السفن الشراعية السريعة عالية السعة لنقل ليس فقط البضائع، ولكن أيضًا الأفكار والممارسات الثقافية. يؤكد هذا البحث الأكاديمي أنه من خلال المساعي البحرية للفينيقيين، بدأ العالم المتوسطي في إعادة تأسيس الروابط التي فقدت خلال العصور المظلمة.

التبادل الثقافي وظاهرة الشرقنة

يتناول الكتاب بعمق مفهوم ظاهرة "الشرقنة" Orientalizing، التي تشمل التبادل الثقافي الذي حدث عبر البحر المتوسط خلال هذه الفترة. وتعتبر المؤلفة أن الفينيقيين قد لعبوا دورًا حاسمًا في نشر الأساليب والتقنيات الفنية في الشرق الأدنى، والتي تبنتها

المجتمعات المختلفة التي تعاملوا معها بشغف. وتؤكد أن الشرقنة لم تقتصر على التقليد، بل تضمنت عملية ديناميكية من التبادل الثقافي. فقد انخرطت مجتمعات مختلفة ـ من الإغريق إلى الأيبيريين ـ بنشاط في التأثيرات الشرق أوسطية وتكيفت معها لخلق تفسيراتها الفريدة. ولعب الفينيقيون دوراً محورياً في تسهيل هذا التبادل من خلال شبكاتهم التجارية الواسعة، فعملوا كوسطاء قدموا هذه العناصر الثقافية الجديدة إلى مناطق مختلفة.

ومن وجهة نظر الكاتبة، فإن الفينيقيين يشكلون عنصراً أساسياً في فهم ظاهرة الشرقنة. فهم لم يكونوا مجرد حاملين سلبيين للثقافة، بل كانوا أيضاً وكلاء ناشطين شكّلوا المشهد الثقافي للبحر المتوسط. وقد سمحت ممارساتهم التجارية بالانتشار السريع للتكنولوجيات الجديدة والأساليب الفنية والممارسات الدينية، مما أدى إلى نشوء هوية ثقافية مشتركة بين الشعوب المتنوعة في المنطقة.

تقدم كارولينا لوبيز-رويز مفهوم "مجموعة الشرقنة"، على أنها مجموعة من السلع والابتكارات الثقافية التي قام الفينيقيون بتصديرها إلى مختلف المجتمعات المتوسطية. وتضمنت زخارف رمزية، وتقنيات الفخار، وأنماط معمارية ضخمة. وكان لانتشار هذه العناصر تأثير عميق على التقاليد الفنية المحلية، مما أدى إلى ظهور هوية فنية متوسطية مميزة.

ويتضح هذا التبادل الثقافي من خلال مجموعة متنوعة من دراسات الحالة التي تسلّط الضوء على تبني المجتمعات المختلفة للزخارف الفنية الفينيقية وتكييفها. على سبيل المثال، يناقش الكتاب كيف تبنّت المجتمعات اليونانية والتروسكانية والإيبيرية تأثيرات الشرق الأدنى، ودمجتها في تعبيراتها الفنية الخاصة مع خلق تفسيرات فريدة تعكس السياقات المحلية. وتؤكد المؤلفة أن عملية التكيّف هذه لم تكن سلبية؛ بل إن المجتمعات المحلية انخرطت بنشاط في العناصر الثقافية التي قدمها الفينيقيون وعدلتها، مما أدى إلى ظهور مشهد فني متوسطي متنوع ونابض بالحياة. وترى الكاتبة أن عملية الشرقنة، برغم أنها تضمنت إدخال عناصر من الشرق الأدنى، إلا أنها اتسمت بالتكيّف المحلي الكبير. ولم تتبنَ المجتمعات هذه التأثيرات فحسب؛ بل إنها دمجتها في سياقاتها الثقافية الخاصة، مما أدى إلى ظهور تعبيرات فريدة عن الهوية. فهذا المزج بين التقاليد عكس الديناميكيات المعقدة للتبادل الثقافي التي حددت تلك الفترة.

ومن بين الحجج الرئيسية التي طرحتها الباحثة فكرة "مجموعة الأدوات التشريقية"، وهو مصطلح يستخدم لوصف الحزمة القابلة للتعديل من السلع الثقافية والابتكارات التي صدّرها الفينيقيون. وتضمنت هذه المجموعة الأدواتية الزخارف الرمزية، وتقنيات الفخار، وتقنيات نحت العاج، والمنحوتات الضخمة، والابتكارات المعمارية.

وكان لانتشار هذه القطع الأثرية الثقافية عبر البحر الأبيض المتوسط تأثير عميق على المجتمعات التي واجهتها، مما أدى إلى تعزيز هوية فنية وثقافية مشتركة تتجاوز الحدود الإقليمية.

كما تسلّط المؤلفة الضوء على أمثلة محددة لكيفية تأثير الزخارف الفينيقية على أشكال الفن المحلية، وتعرض التفاعل الديناميكي بين التأثيرات الثقافية والتكيّفات المحلية. هذا النقاش يؤكد على فكرة أن الفينيقيين لم يكونوا مجرد ناقلين للثقافة؛ بل كانوا مشاركين نشِطين في شبكة معقدة من التفاعلات الثقافية التي شكلت عالم البحر المتوسط.

الفينيقيون ولواء التغيير

كما تتناول الكاتبة أفكار التغيير الذي قام به الفنيقيون لجهة تشكيل الثقافة والتجارة في البحر المتوسط. وترى أن فهم نشاط الفينيقيين الفاعل والمؤثر، من دون وضعهم في إطار الوسطاء السلبيين، أمر ضروري لتكوين رؤية شاملة لهذه الفترة. وهي تفترض أن توسعهم التجاري كان متعمدًا ومنظمًا استراتيجيًا، بهدف إقامة علاقات طويلة الأمد مع السكان المحليين وتسهيل التبادلات الثقافية.

يُصوّر الكتاب الفينيقيين ليس فقط على أنهم تجار ولكن أيضًا كمبتكرين لعبوا دورًا حيويًا في نشر التقنيات الجديدة والأساليب الفنية والممارسات الدينية. وتؤكد المؤلفة أن قدرتهم على التكيّف مع السياقات المحلية سمحت لهم بتأسيس إرث دائم في جميع أنحاء البحر المتوسط. ويتضح هذا التكيّف من خلال فحص المستوطنات الفينيقية في مناطق مختلفة، حيث غالبًا ما تم دمج العادات والممارسات المحلية في الأطر الثقافية الفينيقية.

وعلاوة على ذلك، يستكشف الكتاب كيف سهّل الفينيقيون نقل أنظمة الكتابة عبر البحر المتوسط. كانت الأبجدية الفينيقية، التي كان لها تأثيرها فيما بعد على النصوص اليونانية واللاتينية، بمثابة تقدم تكنولوجي مهم عزز معرفة القراءة والكتابة والتواصل بين المجتمعات المتنوعة. ولم يساهم انتشار الكتابة في تبادل المعرفة الثقافية فحسب، بل لعب أيضًا دورًا حاسمًا في إدارة وحكم العالم المتوسطي المترابط المتنامي.

الدراسات المجزأة ومركزية الهيلينية

على الرغم من أهمية مساهمات الفينيقيين، يسلّط الكتاب الضوء على الطبيعة المجزأة للدراسات حول هذه الحضارة القديمة. تنتقد المؤلفة التحيّز السائد للمركزية الهيلينية في الدراسات الحديثة، والتي غالبًا ما تعطي الأولوية للإنجازات اليونانية والرومانية بينما تهمّش الفينيقيين. يخلق هذا التفتت في تحديات للباحثين الذين يحاولون تكوين فهم متماسك لدور الفينيقيين في تاريخ المتوسط.

وهكذا يدعو الكتاب إلى نهج شامل لدراسة حضارة المتوسط يضع الفينيقيين في مركز المناقشات حول التبادل الثقافي والاتصال. من خلال دمج الأدلة الأثرية مع المصادر الأدبية، تقول لوبيز-رويز أنه من الممكن ظهور فهم أكثر شمولاً للعلاقات التجارية والاستعمارية الفينيقية. ويعد هذا التكامل أمرًا بالغ الأهمية لتفكيك الثنائيات الجامدة التي ميزت تاريخيًا دراسة الحضارات المتوسطية القديمة.

يناقش الكتاب كيف صوّرت الدرسات التقليدية الفينيقيين غالبًا باعتبارهم لاعبين هامشيين في السرد الكبير لتاريخ البحر المتوسط. إن هذا المنظور يفشل في الاعتراف بدور الفينيقيين وتأثيرهم الكبير في تشكيل المشهد الثقافي للبحر المتوسط. تقترح الباحثة أنه لا ينبغي النظر إلى الفينيقيين باعتبارهم مجرد قنوات لثقافة الشرق الأدنى، بل باعتبارهم وكلاء ديناميكيين أثّروا بنشاط على التطورات الفنية والثقافية في عالم البحر المتوسط.

الاستيلاء الثقافي
وقابلية التكيف

كذلك، تستكشف الكاتبة التعقيدات المحيطة بمفهوم الاستيلاء الثقافي خلال فترة الشرقنة. وتفترض أنه في حين لعب الفينيقيون دورًا مهمًا في إدخال الزخارف والتقنيات الشرق أوسطية إلى حوض المتوسط، فقد انخرطت المجتمعات المحلية بنشاط في هذه التأثيرات وقامت بتكييفها لتناسب سياقاتها الثقافية الخاصة.

ويتضح هذا التكيّف من خلال أمثلة مختلفة، وخاصة في أنماط وتقنيات الفخار. تسلّط الباحثة الضوء على كيفية تأثير الخزف الفينيقي على الإنتاج المحلي بينما يعكس في الوقت نفسه الأذواق والتفضيلات الإقليمية. وتقول إن فهم هذا التفاعل أمر بالغ الأهمية لتقدير التعبيرات الثقافية المتنوعة التي ظهرت في البحر المتوسط خلال هذه الفترة.

كما تفحص المؤلفة أهمية الدين والأساطير في العالم الفينيقي وتفاعلاتها مع الثقافات المتوسطية الأخرى. وتناقش كيف تغلغلت الممارسات الدينية الفينيقية، التي تركزت حول آلهة مثل بعل وعشتروت، في المجتمعات التي تعاملوا معها. وكان هذا التأثير الديني مصحوبًا غالبًا بتبني طقوس وأيقونات محددة، والتي عملت على تعزيز الروابط بين المستوطنين الفينيقيين والسكان المحليين. فالممارسات الدينية والثقافية للفينيقيين لم تكن ثابتة؛ بل إنها تطورت استجابة للسياقات المتنوعة التي عملوا فيها. ويتضح هذا التكيّف من خلال فحص المقدسات والمواقع الدينية التي أنشأها المستوطنون الفينيقيون، والتي غالبًا ما كانت تدمج عناصر محلية في ممارساتهم الدينية.

إرث الفينيقيين

في ختام هذا الاستكشاف للتأثير الفينيقي، تؤكد الكاتبة أن الفينيقيين كانوا فعالين في تشكيل المشهد الثقافي والاقتصادي لحوض البحر المتوسط. وقد سهلت شبكاتهم التجارية الواسعة، ومشاريعهم الاستعمارية، والتبادلات الثقافية ظهور هوية متوسطية مشتركة خلال مرحلة الشرقنة. وتشير إلى الحاجة إلى إعادة تقييم دور الفينيقيين في التاريخ، والدعوة إلى نهج أكثر تكاملاً يعترف بفاعليتهم كمساهمين نشطين في النسيج الثقافي للبحر المتوسط القديم.

وتعرب المؤلفة عن أملها في أن يشجع هذا العمل المزيد من استكشاف التاريخ الفينيقي وتداعياته على فهم الترابط بين المجتمعات القديمة. فمن خلال جلب الفينيقيين إلى طليعة الدراسات المتوسطية، يهدف الكتاب إلى تعزيز التقدير الأكثر دقة لمساهماتهم وتحدي السرديات السائدة التي همشت أهميتهم تاريخيًا.

علاوة على ذلك، يؤكد الكتاب على التأثير الدائم للفينيقيين على جوانب مختلفة من ثقافة البحر المتوسط، بما في ذلك الفن والدين والكتابة والتجارة. ويمكن ملاحظة تأثيرهم في المناطق التي استعمروها، حيث أدخلوا ممارسات زراعية جديدة، وابتكارات تكنولوجية، وأساليب فنية غيرت الثقافات المحلية. وتحض لوبيز-رويز العلماء على الاعتراف بالفينيقيين ليس فقط باعتبارهم تجارًا أو "ناقلين" للتبادل الثقافي، بل باعتبارهم وكلاء ديناميكيين شكلوا بنشاط عالم البحر المتوسط. ويؤكد على أهمية دمج الأدلة الأثرية والمصادر الأدبية والتحليل التاريخي لبناء فهم أكثر شمولاً للفينيقيين وإرثهم الدائم في تاريخ المتوسط.

في الخلاصة، يهدف الكتاب إلى إعادة تقييم وتحدي السرديات التاريخية القائمة التي غالبًا ما همشت مساهمات الفينيقيين في الثقافة المتوسطية. ومن خلال وضع الفينيقيين في المقدمة، تسعى المؤلفة إلى تقديم رؤية أكثر توازناً لتاريخ البحر الأبيض المتوسط القديم تعترف بالتعقيدات والترابطات التي سادت بين الحضارات المختلفة. وتدعو إلى اتباع نهج متعدد التخصصات يدمج علم الآثار والتاريخ والدراسات الثقافية لتوفير فهم شامل لدور الفينيقيين في تلك المنطقة.

رعاية نهاية الحياة وأسئلتها الأخلاقية

أخلاق العناية بالإسلام

End-of-Life Care, Dying and Death

in the Islamic Moral Tradition

محمد غالي

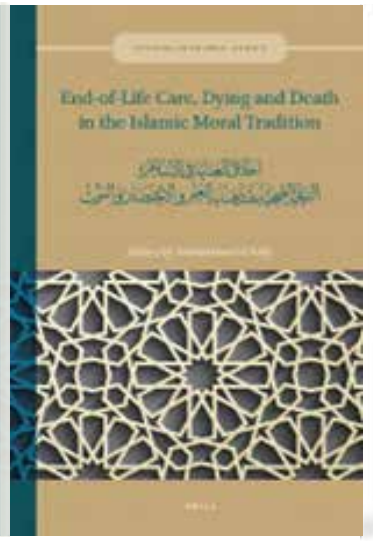

قراءة سيسليا عواد
عضو الهيئة التدريسية
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

يمثل الموت جزءًا مهما من التجربة الإنسانية المشتركة التي تتجاوز اختلافاتنا التاريخية والثقافية والعرقية والدينية. لقد ظل الأفراد والأسر والمجتمعات والأمم يحاولون دائمًا، وبطرق مختلفة إلى حد كبير، التعامل مع ظاهرة الموت وما يرتبط بها من مشاعر وعواطف شديدة تنشأ عندما يقترب الموت من محيطهم. بعض الأسئلة المتعلقة بهذه الظاهرة ذات طبيعة عابرة للتاريخ، والتي شغلت عقول المفكرين لفترة طويلة، على سبيل المثال:

لماذا يميل البشر عموما إلى الخوف من الموت؟ كيف يجب على المرء أن يعتني بمريض في مراحله الأخيرة أو بشخص يحتضر بحيث يكون موته "جيدًا"؟ لماذا يتم ربط المعاناة بالموت؟ إلى أي مدى يمكن، أو ينبغي، السعي للحصول على العلاج الطبي لتحسين الحالة الصحية للمرضى في مراحلهم النهائية؟ ماذا يحدث للناس بعد وفاتهم وأين يذهبون في النهاية؟ كيف ينبغي أن يتصرف المقربون والأعزاء على الميت عند وفاة أحبائهم؟ ما هي التزامات الأحياء تجاه الأموات؟

يهدف هذا الكتاب لأن يكون مرجعا للباحثين المهتمين بمجال رعاية نهاية الحياة (End-of-life care) والأخلاقيات الحيوية الإسلامية بشكل عام، مع فتح آفاق جديدة للبحث المستقبلي.

توضح المجموعة المتنوعة من المساهمين في هذا الكتاب أن الخطاب الأخلاقي الحيوي الإسلامي يمكن، بل ينبغي، إثراؤه من خلال إشراك تخصصات مختلفة، مثل العلوم الطبية الحيوية، وعلم النفس، والعلوم الاجتماعية، بالإضافة إلى مجموعة واسعة من الاهتمامات العلمية المنحدرة من التراث الإسلامي.

ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أجزاء. يتضمن الجزء الأول مقترحات لضبط وتحسين بعض الجوانب المنهجية في مجال الأخلاقيات الحيوية الإسلامية بشكل عام. أما الجزء الثاني، وهو بعنوان "رعاية نهاية الحياة في الدراسات الإسلامية"، فيتكون من أربعة فصول تتعمق في التراث الإسلامي الغني لكشف بعض المناقشات التاريخية ذات الصلة التي تتعلق بالأسئلة العابرة للتاريخ المذكورة أعلاه.

تتناول الفصول السبعة المدرجة في الجزء الثالث، "رعاية نهاية الحياة كقضية أخلاقية بيولوجية"، وجهات النظر الإسلامية حول مسائل أخلاقيات علم الأحياء الحديثة التي يتعامل معها EoLC حاليًا، باعتباره مجالًا علميًا.

وفيما يلي نظرة عامة مفصلة عن كل جزء والفصول المدرجة فيه.

القضايا المنهجية

يركز الفصلان المتضمنان في هذا الجزء على القضايا المنهجية التي يعد النظر فيها أمرًا أساسيًا لتطوير خطاب تأصيلي في التعاليم الإسلامية يُظهر في الوقت نفسه الوعي بالتعقيدات الطبية الحيوية والأخلاقيات الحيوية في EoLC ويتفاعل معها بشكل نقدي. الهدف الرئيسي هنا هو إظهار أن الخطاب الإسلامي حول EoLC، وبالتالي الموت والوفاة وغيرها من قضايا أخلاقيات علم الأحياء، يجب أن يرتكز على اعتبارات منهجية متسقة وليس مجرد اقتباسات متفرقة دون بذل جهد جاد ودراسة واسعة في التراث الإسلامي.

في كتابه "الرعاية في نهاية الحياة والموت والوفاة في الأخلاق الإسلامية"، يبحث محمد غالي كيف يمكن لخطاب الأخلاقيات الحيوية الإسلامي أن يعالج أحد انتقاداته المتكررة، أي تركيزه شبه الحصري على وجهات النظر الفقهية، وبالتالي ينتهي الأمر بشيء أقرب إلى "الفقه الطبي" بدلاً من الخطاب الأخلاقي الحيوي.

يبدأ الفصل بنظرة عامة موسعة وتصنيف للأسئلة الأخلاقية الرئيسية التي طرحها EoLC كمجال للبحث العلمي. ويشرح الجزء الأكبر من الفصل كيفية دراسة هذه الأسئلة من داخل التراث الإسلامي. إلى جانب تحديد المساهمة المحتملة من تخصصات الفقه الإسلامي وأصول الفقه. يقدم الفصل تحليلًا مكثفًا حول كيفية

التعامل مع دراسات القرآن والحديث، والتخصصات الدينية الإسلامية، والفلسفة والصوفية. ويوضح الفصل أيضًا كيف يمكن لخطاب عصر الحضارة البشرية أن يستفيد من الأدلة الأخروية والمصنفات المكتوبة لمواساة الناس الذين أصابتهم المصائب والمحن، والمعروفة في اللغة العربية ب "تسلية أهل المصائب".

وفي بحثه "قلق المسلمين بشأن الموت الدماغي" يقدم عاصم باديلا حجج القائلين بأن الخطاب الأخلاقي حول EoLC يتأثر بشدة بالمفاهيم الأساسية مثل الموت والوفاة وكيف يتم تعريفها وفهمها والتعامل معها. ويشدد على أن المداولات الأخلاقية بشأن بعض ممارسات يجب أن تُظهر الوعي بخصوصيات سياقنا الحديث، حيث تم إضفاء الطابع الطبي على عملية الموت. يقترح باديلا أن مداولات أخلاقيات علم الأحياء من الأفضل أن تتعامل مع الموت البشري باعتباره بناءً يجمع بين أبعاد وجوانب مختلفة، بما في ذلك الغرض من إعلان الوفاة، ومعايير التصديق على الوفاة، وما يسمى أحيانًا بـ "سلوكيات الموت". والإجراءات التي يجب على أصحاب المصلحة القيام بها عند وفاة شخص ما. ويقول إن الحكم على الطابع الأخلاقي أو غير الأخلاقي لبعد أو جانب واحد، يجب أن يعتمد على تقييم أخلاقي أوسع للأبعاد الأخرى ذات الصلة. يتم استخدام الأدبيات الأكاديمية التي أنتجها علماء الأخلاقيات الحيوية حول مفهوم الموت الدماغي كمثال تطبيقي لتسليط الضوء على أوجه القصور في التعامل الإسلامي مع هذا المفهوم الحديث وكيف يمكن معالجة هذه العيوب من خلال الاقتراب من الموت كتركيبة.

رعاية نهاية الحياة في الدراسات الإسلامية

تتناول الفصول الأربعة المدرجة في هذا الجزء موضوع EoLC ضمن النطاق الواسع للدراسات الإسلامية. النقطة المهمة هنا هي إظهار كيف كان يبدو العالم الأخلاقي المرتبط بالموت في التقاليد الإسلامية قبل ظهور الثورة الطبية الحيوية الحديثة. كما هو موضح أعلاه، كان الموت والاحتضار وشبكة واسعة من المفاهيم ذات الصلة جزءًا من التجربة الإنسانية عبر التاريخ.

تقدم الفصول المدرجة في هذا الجزء أمثلة تفصيلية لكيفية مساهمة فلاسفة ما قبل الحداثة، واللاهوتيين، والصوفيين، و والشعراء، والفقهاء، والشخصيات العامة المعروفة بالتقوى والصلاح في المناقشات حول مجموعة واسعة من المفاهيم والقضايا، التي تظل ذات صلة بسياق عصر الحضارة البشرية الحديث، بما في ذلك الخوف، والموت، والوفيات (الجماعية) المرتبطة بالطاعون، وآلام وعذابات عملية الموت، وما إلى ذلك.

في كتابه (مقاربات فلسفية أخلاقية للرهاب من الموت في الحضارة الإسلامية: دراسة لآراء محمد بن زكريا الرازي وأبو علي مسكويه وصدر الدين الشيرازي) يقدم حامد أرزائي وأسماء أسدي مراجعة تحليلية لمساهمات ثلاثة فلاسفة مسلمين حول كيفية فهم و/أو معالجة ظاهرة رهاب الموت أو الخوف من الموت. إلى جانب الإشارات المتفرقة إلى المقارنات المحتملة مع وجهات نظر الفلاسفة وعلماء الأخلاق اليونانيين الكلاسيكيين والغربيين المعاصرين، ينصب تركيز أرزائي وأسدي على تنوع وجهات النظر في التراث الإسلامي، وتأكيد بعض هؤلاء الفلاسفة على أن أفضل طريقة هي تجنب التفكير في الموت نفسه، بينما رأى آخرون أن التفكير في الموت والشعور بالخوف منه يمكن أن يكون مفيدًا وأنه ليس شيئًا طبيعيًا فحسب، بل لا غنى عنه للبشر. ومن النقاط المتفق عليها في هذا الصدد أن التغلب على الخوف المفرط من الموت مشروط بفضح بعض الأساطير وتطوير الفهم الصحيح لما يعنيه الموت والمفاهيم المرتبطة به في الشريعة والأخلاق الإسلامية.

في كتابهما "جلال الدين الرومي وفلسفة الألم والمعاناة"، يرى شهاب الدين مهدوي وأمير عباس الزماني أن الصوفية تمثل أفضل مرشح، من بين التخصصات العلمية الأخرى، لبناء رعاية روحية مصممة خصيصًا للمرضى المسلمين في مراحلهم الأخيرة. واختار المؤلفان الشاعر البارز جلال الدين الرومي (ت 672هـ/1273م)، لتأثيره الواسع العابر لحدود اللغة والثقافة والدين والزمان، ليمثل الأدب الصوفي الواسع عن الألم والمعاناة. يركز الفصل على الكشف عن مساهمته المتعددة المستويات والأبعاد في موضوع الألم والمعاناة. وتطرق المؤلفان في تحليلهما لرؤى الرومي إلى جوانب تتعلق بالدلالات والأنطولوجيا والغائية والتصنيف، إضافة إلى أخلاقيات التعامل والألم والمعاناة.

في كتابه "الطاعون والسلوك السليم والجنة في نص مكتشف حديثاً لزكريا الأنصاري"، يوضح هانز دايبر الأهمية الخاصة للأطروحات الكلاسيكية حول الطاعون في مناقشات عصر الحضارة البشرية، لا سيما فيما يتعلق بالسلوك المناسب للمسلم الملتزم دينياً وأخلاقياً. وتتمتع مساهمة دايبر بأهمية خاصة في مواجهة جائحة كوفيد-19، التي كانت في ذروتها عندما انعقدت الندوة. ويركز على نص كتبه زكريا الأنصاري (ت 926/ 1520) الذي قدم مساهمات مهمة في علوم الحديث والتصوف. إن عمل الأنصاري ليس مستوحى من الاهتمامات العلمية فحسب، بل من التجربة الشخصية أيضًا، حيث أنه فقد أحد أبنائه أثناء الطاعون، وغرق ابن آخر في نهر النيل. يقدم دايبر نظرة شاملة على الفصول الأربعة عشر من عمل الأنصاري بعنوان (تحفة الراغبين في بيان أمر الطواعين). كما يثري دايبر الفصل من خلال تضمينه عددًا من الاقتباسات العربية الحرفية، إلى جانب الترجمات الإنجليزية. ويولي

اهتمامًا خاصًا للفصل الأخير من عمل الأنصاري، المخصص للآداب الرئيسية التي يجب على المرء الالتزام بها في مواجهة الطاعون أو ما يشبهه من المصائب.

الفصل الأخير في هذا الجزء من الكتاب هو "Ars Moriendi" أو: فن الموت الإسلامي، والمشاعر الغامضة على فراش الموت" يوضح بيتر كوبينز كيف يمكن لقصص الموت المسجلة في المصادر التاريخية، وخاصة سير الصالحين التي تمثل فترات مختلفة من التاريخ الإسلامي، أن تساعدنا في فهم العالم الأخلاقي المرتبط بالموت في التقاليد الإسلامية. يركز كوبينز على قصص الاحتضار على فراش الموت للشخصيات الدينية في مصدرين كلاسيكيين من القرن الخامس/الحادي عشر، وهما حلية الأولياء، ورسالة في التصوف، بالإضافة إلى عملين من أواخر القرن التاسع عشر - أوائل القرن العشرين، وهما حلية البشر، وتاريخ علماء دمشق. هدف المؤلف هو بناء شيء مشابه للنوع المشهور بـ (فن الموت) في الأدب المسيحي. يعمل هذا النوع عمومًا كأداة لتعليم وتوجيه المؤمنين حول كيفية التصرف وإدارة مشاعر الفرد في مواجهة الموت الوشيك. لقد اختار كوبينز عمدًا مصادر من فترات تاريخية مختلفة من أجل فحص ما إذا كانت بعض التحولات قد حدثت بين تجارب الاحتضار على فراش الموت من التاريخ الإسلامي المبكر وتلك التي حدثت في العصر المتأخر، عندما كان العالم الإسلامي على وشك "الحداثة". ويحاول المؤلف بذلك سد فجوة بحثية في مجال الرعاية الروحية والإرشاد من منظور إسلامي.

رعاية نهاية الحياة كقضية أخلاقية بيولوجية

يبدأ هذا الجزء بفصل عن "الرعاية التلطيفية PC (Palliative Care) وأسئلتها الأخلاقية: وجهات نظر إسلامية"، يشرح محمد غالي كيف أدت التطورات الطبية الحيوية الحديثة إلى إشكالية بعض التعميمات الأخلاقية التي كانت موجودة سابقًا في هذا الصدد. ويقول إن هذه التطورات الحديثة خلقت اختلافات وفروقا دقيقة ذات صلة أخلاقيا إلى حد أنه لا يمكن الحكم على التداوي كمفهوم واحد بسيط. ويبحث في التوتر المحتمل بين العلاج التلطيفي الذي يركز على علاج الأمراض، من خلال إدارة الألم والعلاج العلاجي، على يد "العلاجات الداعمة للحياة" (LSTs). Life-sustaining treatments في مناقشته لـ LSTs، يفرق المؤلف أيضًا بين الإنعاش القلبي الرئوي (CPR) والتهوية الميكانيكية، من ناحية، والتغذية الاصطناعية والترطيب (ANH)، من ناحية أخرى. وفي القسم الثاني عن صعوبة الموازنة بين القيم المتضاربة، حيث لا يمكن احترام القيم أو الفضائل الأخلاقية المهمة أو تنفيذها جميعًا في سياق الرعاية التلطيفية. يتم تحليل هذه المسألة من خلال مثالين: أولهما هو إعطاء المسكنات، التي تستخدم عادةً لتخفيف الألم ولكنها تستخدم أيضًا لإضعاف الوعي أو التعجيل بالموت. والثاني هو توصيل الأخبار السيئة "الحزينة" وكيفية الموازنة بين قيمة الصدق وقيمة الرحمة.

في الفصل الثاني من هذا الجزء "منع الانتحار وتأخيره: تركيب نفسي إسلامي"، يبحث خالد الزمزمي في كيفية تفاعل رؤى التخصصات الحديثة، مثل علم النفس والصحة العقلية، مع وجهات النظر الإسلامية الكلاسيكية والحديثة حول الوقاية من الانتحار وما بعده. يتعامل الزمزمي مع الانتحار باعتباره مفهومًا معقدًا ومتعدد الأبعاد، والذي يستلزم تحليله الدقيق التفاعل مع مجموعة واسعة من المصادر التي تنتمي إلى تخصصات علمية مختلفة من داخل التراث الإسلامي وخارجه. وإلى جانب بعض الملاحظات المنهجية التمهيدية حول مدى انتشار الانتحار بين المسلمين، ويركز على الوقاية من الانتحار، ويتناول الأدبيات في مجالي الصحة العقلية وعلم النفس الإسلامي، بما في ذلك تقارير منظمة الصحة العالمية والفتاوى. ويستعرض القضايا المتعلقة بعواقب الانتحار من خلال استشارة مختلف المصادر اللاهوتية والفقهية والنفسية، ويناقش المؤلف قضايا تشمل كيفية تأثير الانتحار على الوضع الديني والأخلاقي للمتوفى والتزامات الناجين من الانتحار تجاهه، بما في ذلك الطقوس الجنائزية. بالإضافة إلى الاحتياجات النفسية للناجين.

في كتابه "حدود الاستقلالية الشخصية في المداولات الأخلاقية البيولوجية الإسلامية حول قضايا نهاية الحياة في ضوء الجدل حول القتل الرحيم"، يشرح أيمن شبانة كيف أن المفهوم "القديم" لقتل النفس، والانتحار، قد خضع لتحولات ومراجعات كبيرة بعد الثورة الطبية الحيوية الحديثة. تمت صياغة مصطلح مميز وتقني، أي "القتل الرحيم"، لتأطير المناقشات حول إمكانية إنهاء حياة مريض في مراحله النهائية عمدًا كملاذ أخير لوضع حد لمعاناة الفرد. بفضل التقدم الحديث في العلوم الطبية الحيوية، يُقال أن عملية الموت ستكون غير مؤلمة قدر الإمكان. لا يشير المصطلح الذي تم إدخاله حديثًا إلى التعديلات اللغوية فحسب، بل الأهم من ذلك، إلى التغييرات في المشهد الطبي والفلسفي والأخلاقي. إلى جانب تأثير التقدم الطبي الحديث، ويقدم الفصل نظرة تحليلية عامة للمناقشات الفقهية الإسلامية الحديثة حول مفهوم القتل الرحيم، في صورتيه الإيجابية والسلبية، ويضع هذه المناقشات في سياق المناقشات المعيارية الكلاسيكية حول مفاهيم قتل النفس والقتل الرحيم والانتحار.

يتناول الفصلان الرابع والخامس اثنتين من القضايا الرائدة في EoLC، وهي علاجات المحافظة على الحياة (LSTs) والتغذية الاصطناعية والترطيب (ANH).

في "الإطار الإسلامي للأخلاقيات الحيوية لمنع وسحب العلاج الذي

يحافظ على الحياة"، يرى رفاقت رشيد أن تحسين خطاب الأخلاقيات الحيوية الإسلامي المعاصر حول LSTs يستلزم توسيع النطاق الضيق للمناقشات حول الالتزامات الدينية المخصصة لمقدمي الرعاية الصحية و/أو المرضى و/أو أسرهم. وهذا من شأنه أن يوضح في نهاية المطاف متى ستكون تجارب LST السابقة مبررة أخلاقيا من منظور إسلامي. ويمكن تحقيق ذلك من خلال إعطاء الأولوية لهدف خدمة المصالح الفضلى للمرضى وإدراج مبدأ إزالة الضرر عن النفس والآخرين. ويستكشف رشيد حالات سريرية محددة لإظهار متى يكون التخلي عن LST مسموحًا به أو محظورًا.

في كتابها "التغذية الاصطناعية والترطيب في المرحلة النهائية من الخرف من منظور إسلامي"، تركز هديل لبابيدي على مرضى الخرف، وتدرس كيف يؤدي إدخال الأشكال الحديثة من التغذية والترطيب بمساعدة طبية، على سبيل المثال، من خلال أنبوب فغر المعدة، إلى زيادة الأسئلة الأخلاقية المعقدة في سياق EoLC. يهيئ هذا الفصل المشهد من خلال تقديم الجوانب الطبية والفنية للخرف، والإجراءات المستخدمة لتغذية المرضى، أي التغذية الاصطناعية والإماهة Artificial nutrition and hydration. ويركز الفصل على وجهات النظر الإسلامية حول ANH، خاصة فيما يتعلق بحالات المرضى الذين هم في المرحلة النهائية من الخرف. توضح لبابيدي كيف شكلت المفاهيم الكلاسيكية أجزاء من هذا الخطاب الحديث، على سبيل المثال، "واجب التغذية"، و (مقاصد الشريعة)، وقضية قتل المعتقلين بحرمانهم من الأكل والشرب، أو ما يسمى بقتل الصبر، وهو ما تم مناقشته بشكل متكرر في الأعمال المبكرة للفقه الإسلامي. وتختتم الكاتبة تحليلها للمواقف المتعارضة من خلال الدعوة إلى اتباع نهج دقيق يفرق بين الاستخدامات المختلفة لل ANH في سياقات مختلفة. على سبيل المثال، فإن استخدام ANH على المدى القصير سيكون له ما يبرره أخلاقيا في حالة فقدان مريض الخرف وعيه نتيجة لدخوله في غيبوبة. من ناحية أخرى، يمكن تبرير التخلي عن ANH في المرحلة النهائية من الخرف عندما يؤكد طبيبان أو أكثر أن الأضرار تفوق الفوائد، ويوافق المريض أو الأقارب على توصية الأطباء.

الفصل الأخير من هذا الكتاب بعنوان "فقد الأطفال في الحمل المبكر: تمرين التوازن بين التفكير الشرعي الإسلامي وتحدي الحياة" بقلم بيات أنام. يعد هذا الفصل بمثابة مثال يوضح الحاجة إلى إثراء خطاب من خلال إشراك بعض الأصوات غير الممثلة في مداولات أخلاقيات البيولوجيا الإسلامية. في دراستها، تتعاون أنام مع الآباء والأمهات المسلمين والقابلات ومقدمي الرعاية النفسية (مستشاري الحزن) لاستكشاف كيفية إدراك المسلمين لظاهرة الإجهاض التلقائي الساحقة عاطفيًا وتجربتها. وهي تكشف وتحلل معضلات الآباء المسلمين، الذين عانوا من الإجهاض التلقائي. ويتطرق هذا الفصل إلى وضع المسلمين في أوروبا وكيف أن تبني مواقف متشددة تتجاهل تنوع وجهات النظر داخل التقاليد الإسلامية يمكن أن يخلق صعوبات لهؤلاء الآباء ويعرقل المسارات نحو تقديم استشارات فعالة ذات دوافع دينية في حالات الفجيعة.

وفي الواقع، نعتقد أن الخطاب الأخلاقي الحيوي الإسلامي بشكل عام سيستفيد كثيرًا من المزيد من الدراسات التي تستخدم أدوات ومنهجيات العلوم الاجتماعية لفحص أوجه التشابه والاختلاف في إدراك العالم الأخلاقي الإسلامي ذي الصلة، كما نظر إليه علماء الدين وجربه المسلمون، أفراداً ومجتمعات.

القهوة ومحلات القهوة (المقاهي)

أصول المشروب الاجتماعي في الشرق الأوسط في العصور الوسطى

COFFEE AND COFFEHOUSES

The Origins of a Social Beverage in the Medieval Near East

رالف هاتوكس

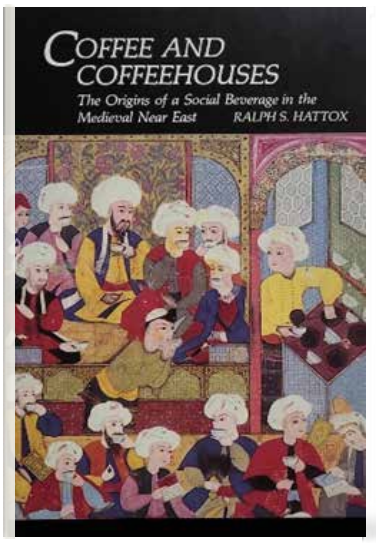

قراءة محمد عبدالله السيد
عضو الهيئة التدريسية
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

كتاب نشر في قسم اللغات والحضارة الشرقية القديمة- جامعة واشنطن لمؤلفه رالف اس هاتوك: وهو أكاديمي وكاتب أمريكي حصل على درجة الدكتوراه في التاريخ، وله اهتمامات خاصَّةً بالثقافة الإسلامية والعربية، وهو معروف بأسلوبه الرائق والعميق لجعل مواضيعه جذابة للقارئ العام والباحثين على حد سواء ، وقد اعتبرت كتاباته مرجعًا مهمًّا للمهتمين بالتاريخ الثقافي للمشروبات، وكتابه هذا من أفضل تحليلاته.

يُعدّ كتاب "القهوة والمقاهي: أصول المشروب الاجتماعي في الشرق الأدنى في العصور الوسطى" للمؤلف رالف إس هاتوك عملاً مميزا يقوم على بحث دقيق ومركز يعيد النظر في نشأة القهوة بوصفها ظاهرة ثقافية واجتماعية في العالم الإسلامي خلال العصور الوسطى.

يُعيد الكاتب تأطير القصة المألوفة للقهوة التي تُعتبر مجرد سلعة إلى أن يُبرزها كقوة تحويلية أعادت تشكيل الحياة الاجتماعية والفضاءات الحضرية وأنماط التفاعل العام .

وتتلخص فرضيته الرئيسية في أن تطور القهوة ومؤسسة المقاهي كان له دور حاسم في خلق أشكال جديدة من التفاعل الاجتماعي والخطاب العام، مما أسهم في إعادة تشكيل الحياة اليومية وإحداث تحولات ثقافية وسياسية في الشرق الأدنى خلال تلك الحقبة التاريخية

يرتكز الكتاب على العلاقة التفاعلية بين الثقافة المادية والتغير الاجتماعي. ويتتبع المؤلف رحلة القهوة من أصولها النباتية والاقتصادية إلى أن تحوز على مكانة بارزة كرمز ثقافي واجتماعي. ويؤكد أن اعتماد القهوة لم يكن نتيجة عملية خطية تحركها عوامل اقتصادية أو جغرافية فقط، بل كان جزءًا لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي للمجتمع في أواخر العصور الوسطى. فقد أدى ظهور المقاهي إلى تحولها مراكز للنقاش وتبادل الآراء.

يبدأ المؤلف بعرض شامل للظروف التاريخية والاقتصادية والثقافية التي مهدت الطريق لازدهار القهوة في الشرق الأدنى، إذ يسلط الضوء على كيفية تشكيل شبكات التجارة المتغيرة والتطورات التكنولوجية والعلاقة المعقدة بين البيئات الحضرية والريفية ما أوجد بيئة خصبة لاعتماد هذا المشروب. كما يشدد على ضرورة فهم القهوة ليس فقط كمنتج زراعي بل كمحفز للتغيير الاجتماعي، مما يضع السؤال حول الطرق التقليدية لتفسير انتشار الثقافات تحت عدسة جديدة تتجاوز التفسيرات الاقتصادية الضيقة.

ينقسم الكتاب إلى عدة فصول مترابطة تبني حجته بشكل منهجي. ففي الفصول الأولى، يركز هاتوكس على أصول القهوة بوصفها نباتًا وسِلعة. يستعرض المؤلف العوامل البيئية والزراعية التي ساهمت في بداية زراعتها، معتمداً على الأدلة النباتية والسجلات التاريخية لتتبع رحلة القهوة من المرتفعات الإثيوبية واليمنية إلى الأسواق الواسعة في الشرق الأدنى. ويُعرض هذا النقاش في إطار شبكات التجارة المبكرة التي ساهمت في نقل السلع والأفكار والتقنيات عبر مسافات شاسعة ويستعرض أيضًا تصاميمَ المقاهي وأجواءَها، وإدارتَها، وروادَها. ومساهمة القراء لأي شخص محب للقهوة، والمؤسسة الفريدة للمقهى في المجتمعات الحضارية.

لقد تمت الكتابة بعناية فائقة وتوثيقية لثمانية فصول تشرح تاريخ وأحداث ظهور القهوة؛ حيث إنها لم تكن مجرد مشروب فقط ، وكيف تطورت هذه الأماكن من تجمعات غير رسمية إلى مؤسسات اجتماعية منظمة ذات دور محوري في الحياة الحضرية. فقد أصبحت المقاهي أماكن للتجمع الاجتماعي تجمع أفرادًا من مختلف الطبقات الاجتماعية لتبادل الأخبار والنقاش حول الأفكار والقضايا المعاصرة.

يبدأ الكاتب في الفصل الأول عن أصول القهوة وكيف بدأت

كمشروب في المنطقة، مع التركيز عل الأصول الإثيوبية، والتطورات التي أدَّت الى انتشارها في العالم خلال ثلاثة قرون عندما أصبحت شغفًا بين أهل الموضة والطرافة في مختلف أنحاء أوربا.

واستفاض في النقاشات المبكرة التي أحاطت بظهور القهوة كسلعة وظاهرة ثقافية. ويستعرض النزاعات المتعلقة بمصداقية القهوة وقبولها الاجتماعي والتأثيرات المزعومة لها، مستندًا إلى سجلات تاريخية مبكرة ونزاعات قانونية وتأملات لاهوتية. يعرض المؤلف الآراء المتباينة للمسؤولين الدينيين والعلماء والمجتمعات المحلية، مما يؤسس لإطار معقد تكوّنت في تشابكاته سمعة القهوة.

بدأ استخدام القهوة بشكل عام في بلاد الشام في منتصف القرن الخامس عشر، ونظرًا للصمت الذي خيَّم على دخول هذا المشروب إلى المجتمع؛ فمن المستحيل أن نحدِّدَ تاريخًا محدَّدًا، حيث كانت السجلات التاريخية والسير الذاتية بمثابة النماذج الأوَّلية للتعامل مع الماضي، والتي كانت بالضرورة تتعلق بما يمكن أن نطلق عليه أحداثًا اجتماعيَّةً بارزة.

يعود تاريخ القهوة إلى القرن الخامس عشر في منطقة اليمن، حيث استخدمت بدايةً حبوب البُنِّ، وأول من اكتشفها راعي أغنام وفقًا لما سمعنا من الأساطير، فقد لاحظ الراعي تأثير القهوة المنشطة على سلوك أغنامه بعد تناولها. ثمَّ انتشرت سريعًا في المناطق المجاورة خاصة في الحبشة ومصر في المجالس الاجتماعية والدينية.

وفي القرن السادس عشر أصبحت القهوة مشروبًا شائعًا في الإمبراطورية العثمانية؛ إذ كان يعتَقد أن القهوة تعزز التواصل بين الناس، كيف لا وهي رمز للضيافة؟! فقد استخدمت في مناسبات متعددة، بدءًا من الاجتماعات العائلية إلى اللقاءات العامة .

ويتابع التفصيل في الفصل الثاني بقوله يبدو الأمر غريبًا للغاية عند ظهور بعض المحاولات المبكرة لتحريم استخدام القهوة، والتي كانت عبارة عن ادعاءات تندرج ضمن فئة المشروبات المحرمة في الشريعة الإسلامية، وبما أن القهوة ليست مادة مسكرة مثل الخمر فإنها تمتلك بعض الخصائص المنبهة بشكل ملحوظ، ويمكن أن تخلِّف تأثيراتٍ عميقةً عقليَّةً وجسديَّةً على شاربها، وإذا كانت الخمر والمشروبات الأخرى محرمة بسبب تأثيرها على العقل فعلينا إثبات الأضرار والعواقب الجسدية لشرب القهوة للطعن في شرعيتها، ومن الواضح أن القهوة ليست مسكرة، ولا تشترك بالعلة التي حرمت الخمرة لأجلها، فهي لا يمكن أن تكون محرَّمة وفقًا لمعايير الفقه الإسلامي.

يعيد المؤلف سرد تاريخ تحول القهوة من محصول محلي إلى سلعة تُتداول على نطاق واسع باستخدام مذكرات الرحالة وسجلات التجارة والوثائق الإدارية المحلية. يوضح النقاش العوامل الاقتصادية واللوجستية التي ساهمت في انتشارها، مما يدعم الحجة القائلة بأن تبني القهوة كان نتيجة لاستراتيجيات تجارية متعمدة وليس مجرد صدفة. على الرغم من تقديم أدلة كمية قوية، يقلل النقاش أحيانًا من إبراز التكيفات الثقافية المحلية المصاحبة لانتشار القهوة، مما يترك بعض التفاصيل الدقيقة دون استكشاف كافٍ.

أما في الفصل الثالث: فيتحدث عن ترافق انتشار القهوة كمشروب مقاهي عرفت بما يسمى (قهوة خانه) كأماكن مخصصة لتناول القهوة، حيث اعتبرت مراكز ثقافية واجتماعية يجتمع فيها الناس للنقاش وتبادل الأفكار حول الأحداث الراهنة.

وقد تميزت المقاهي بتصميمها الرائع الفريد كالأقمشة الملونة، وتوفر جلسات مريحة لقضاء أوقات هادئة. هذه المقاهي كانت سببًا في ظهور حركة فكرية وثقافية لتبادل المعلومات، وانعقاد الجلسات الاجتماعية والمحاضرات، وتنظيم الفعاليات الأدبية. وهذا ماعزز الحركة الثقافية في المجتمعات فهي لم تكن مجرد أماكن لاحتساء المشروب الساخن، بل مثلث فضاءات اجتماعية عززت الحوار والنقاش بين الأفراد من مختلف الخلفيات، وكانت تعتبر مكانًا آمنا مريحا والاجتماعية يعبر الناس فيه عن آرائهم وأفكارهم. وساهمت المقاهي في تشجيع التعليم، حيث كانت تعرف بتلك الحقبة ما يسمى (جامعة بنس)؛ لأن أغلب زبائنها يمكنهم التعامل والتفاعل مع الأشخاص المثقفين والمفكرين، فيشمل النقاش معهم مواضيع مختلفة من الأدب والفنون وإلى أمور ونظريات فلسفية ودينية.

ثم يعود الكاتب في الفصل الرابع للحديث عن تناقضات قبول القهوة كمشروب لا يشبه الخمر أبدًا، وخاصة أنها لم يرد ذكرها في القرآن الكريم، حيث إنَّ تأثيرها فقط على الجهاز العصبي وبقية الجسم واضح لأي شخص سبق له أن شرب القهوة. وقد ذكرنا من قبل أنَّ الهدف من شرب القهوة هو تحقيق ما يسمى بالعربية نشوة القهوة maraqagha.

يتناول الفصل الرابع التقاطع المعقد بين الفقه التاريخي الإسلامي والأعراف المجتمعية والتطورات في استهلاك القهوة في العصر الحديث المبكر. تتمحور الحجة المركزية حول فهم كيف اعتمدت محاولات حظر القهوة على قياسها بتحريم الخمر في الإسلام، مما أجبر علماء القانون على التعامل مع تعريفات السكر والمشروبات المباحة. يحدد الفصل بدقة الأساس الشرعي لتحريم الخمر، والاختلافات في التفسيرات بين المذاهب السنية الأربعة (الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي).

يستخدم المؤلف بفعالية التحليل النصي للقرآن والأحاديث النبوية لإظهار النهج الدقيق والمتشابك في كثير من الأحيان لتنظيم المسكرات. إن الشرح المفصل لتعريف المذهب الحنفي الأضيق للخمر وتداعياته مفيد بشكل خاص.

ويرى المؤلف بأن إباحة القهوة تعتمد في النهاية على آثارها المسكرة المتصورة، أو عدم وجودها. ومع ذلك، يمكن الاستفادة من مزيد من الاستكشاف للعوامل الاجتماعية والسياسية التي ربما أثرت على هذه التفسيرات القانونية. ويشرح بفعالية الحجج القانونية، فإنه يقدم رؤى أقل حول المخاوف الاجتماعية أو المصالح الاقتصادية التي ربما حركت معارضة القهوة. على الرغم من ذلك، يقدم مساهمة قيمة لفهم العلاقة المعقدة بين العرف الديني والممارسات اليومية في المجتمعات ، مما يضعه بقوة في مجال الدراسات الاجتماعية والقانونية.

وأما في الفصل الخامس الذي جاء عنوانه: الخمول والجذام و الميلانخوليا فقد تحدث عن الخطاب الطبي المحيط بالقهوة في العالم الإسلامي في العصور الوسطى والعصر الحديث المبكر، مما يدل على كيف شكلت نظرية الأخلاط، المستمدة من طب جالينوس، التصورات حول آثارها على الصحة. الموضوع المركزي للفصل هو الجدل بين الأطباء فيما يتعلق بطبيعة القهوة (حارة / باردة ، جافة / رطبة) وقدرتها على التسبب في اختلالات مزاجية أو تفاقمها، وخاصة الميلانخوليا. ويجادل بأنه في حين أن بعض الأطباء أدانوا القهوة بسبب آثارها الضارة المتصورة، وخاصة على أولئك الذين لديهم مزاج سوداوي، إلا أن آخرين أشادوا بفوائدها، مثل خصائصها المدرة للبول وقدرتها على تخفيف حالات البلغم.

ويستخدم المؤلف أدلة من الرسائل الطبية لشخصيات مثل الزيني وكاتب جلبي وداود الأنطاكي لتوضيح الآراء المتنوعة حول الخصائص الطبية للقهوة.

ومن خلال مقارنة وجهات النظر الطبية الإسلامية بآراء الكتاب الأوروبيين مثل لويس ليمري وهنري بلونت، يسلط الضوء على التملك الانتقائي والتلفيق العرضي للمطالبات الطبية حول القهوة.

يتردد صدى هذا القسم مع عمل علماء مثل نانسي سيرايسي في تاريخ الطب، لا سيما فيما يتعلق بنقل وتكييف نظرية جالينوس الطبية.

يكمن الضعف المحتمل في الاستكشاف المحدود للسياق الاجتماعي الذي دارت فيه هذه المناقشات الطبية. في حين أنه يقر بأن الحجج الطبية غالبًا ما كانت بمثابة مبررات ثانوية لحظر القهوة، إلا أنه لا يحقق بشكل كامل في المخاوف الاجتماعية والثقافية التي ربما دعمت هذه المخاوف. ومع ذلك، يقدم مساهمة قيمة لفهم التفاعل المعقد بين النظرية الطبية والتصورات الثقافية واستهلاك المواد الجديدة في العالم ما قبل الحداثة، مما يجعلها ذات صلة بالباحثين في دراسات الشرق الأوسط وتاريخ الطب.

والفصل السادس يقدم تحليلًا مقنعًا لنشأة المقهى كمساحة اجتماعية جديدة في الشرق الأدنى في القرن السادس عشر. بالانتقال إلى ما وراء التفسيرات الاقتصادية أو الدينية البحتة، يفترض أن جاذبية المقهى الدائمة تكمن في قدرته على تلبية شوق اجتماعي كامن للتفاعل العام داخل بيئة مقبولة أخلاقياً. تم بناء هذه الحجة بمهارة من خلال مقارنة المقهى مع الحانة الموجودة مسبقًا، وتأطير الأول على أنه "حانة بلا خمر"، وبالتالي تجنب المحظورات الدينية والاجتماعية المرتبطة باستهلاك الكحول.

يستفيد المؤلف بفعالية من المصادر الأولية، بما في ذلك مدونات السفر بقلم بيتشيفي وجزيري وثيفينو لين، لإلقاء الضوء على الأنواع المتنوعة من مؤسسات القهوة (الأكشاك والمحلات والمقاهي الكبرى) والممارسات الاجتماعية والثقافية التي ولدتها. إن المناقشة الدقيقة لإعداد القهوة، من أنواع البن المستخدمة إلى الأجهزة المستخدمة، تعطي إحساسًا ملموسًا بتجربة المقهى. علاوةً على ذلك، يندمج ضمنيًا مع نظريات المجال العام، مردداً عمل علماء مثل يورغن هابرماس وتصوره عن "المجال العام". ومع ذلك، في حين يجادل في الفصل بشكل مقنع بأن المقهى هو مركز للتفاعل الاجتماعي، إلا أنه يمكن أن يستفيد من مزيد من المشاركة الصريحة مع الأطر النظرية للتحليل المكاني.

إن القيود المحتملة تكمن في تصوير الفصل المثالي إلى حد ما للمقهى كمساحة ديمقراطية بطبيعتها. في حين أن غياب الكحول وسع نطاق جاذبيته بلا شك، فإن إجراء مزيد من الاستكشاف لقضايا مثل التسلسل الهرمي الاجتماعي وديناميكيات النوع الاجتماعي والاستثناءات المحتملة داخل المقهى من شأنه أن يثري التحليل. على الرغم من هذه العيوب الطفيفة، قدم الكاتب مساهمة كبيرة لفهم التحولات الاجتماعية والثقافية التي صاحبت إدخال القهوة، ووضعها في محادثات علمية أوسع حول التوسع الحضري والاستهلاك وتشكيل الحياة العامة في الفترة الحديثة المبكرة.

ويستكشف الفصل السابع بدقة الديناميكيات الاجتماعية المتعددة الأوجه داخل المقهى المبكر، ويستكشف دوره كصورة مصغرة للقيم والمخاوف المجتمعية الأوسع. تتمحور الحجة المركزية للفصل حول فرضية أن الخلافات المحيطة بأنشطة المقهى - من المحادثة واللعب إلى الترفيه وتعاطي المخدرات - تكشف عن رؤى حاسمة حول المعايير الاجتماعية المتطورة والحدود الأخلاقية في ذلك الوقت، من خلال فحص الرعاية المتنوعة، يتحدى الفصل المفاهيم التبسيطية للتجانس الاجتماعي ويسلط الضوء على المقهى كمكان متنازع عليه حيث تم تعزيز التسلسل الهرمي الاجتماعي وربما تجاوزه.

يستخدم المؤلف بمهارة مجموعة متنوعة من المصادر الأولية لإعادة بناء الأنشطة والتجاوزات المتصورة داخل المقهى. إن مناقشة المحادثة، التي تتراوح من المزاح غير المؤذي

إلى الثرثرة البغيضة والخطاب الاجتماعي ، تؤكد إمكانات المقهى كمساحة للتلاحم الاجتماعي والمعارضة. إن استكشاف الفصل للترفيه، بما في ذلك سرد القصص وعروض الدمى والموسيقى، علاوة على ذلك، فإن المناقشة الصريحة لتعاطي المخدرات والدلالات المثلية في بعض المقاهي تتحدى التصويرات الرومانسية للمؤسسة وتكشف عن التيارات الخفية المظلمة للحياة الاجتماعية الحضرية. يتحدث الفصل ضمنيًا مع المنح الدراسية حول الانحراف والسيطرة الاجتماعية، مما يعكس عمل ميشيل فوكو وتحليله لعلاقات القوة داخل المؤسسات الاجتماعية.

وأما في الفصل الأخير : المقهى والأعراف الاجتماعية والرموز الاجتماعية فإنه يقدم فحصًا دقيقًا للمخاوف الاجتماعية والثقافية التي أثارها صعود المقهى، والانتقال إلى ما وراء الحجج القانونية لاستكشاف التحولات الدقيقة في المعايير الاجتماعية والممارسات الرمزية التي عكستها المؤسسة و تتمحور الحجة المركزية حول أن معارضة المقهى، على الرغم من تأطيرها في كثير من الأحيان بعبارات دينية أو قانونية، تنبع من قلق أعمق بشأن الأنماط المتغيرة للتفاعل الاجتماعي، والتآكل المتصور للقيم التقليدية، وظهور أشكال جديدة من الحياة العامة.

ويحلل المؤلف الانتقادات المتعددة الأوجه للمقهى، ويصنفها إلى اعتراضات تستند إلى محظورات الشريعة، ومخاوف بشأن الفتنة، ومخاوف غير ملموسة تتعلق بالسلوك غير اللائق وتعطيل النظام الاجتماعي. إن تحليل "تمرير الكأس" كإيماءة متنازع عليها محملة بالمعنى الرمزي مفيد بشكل خاص. من خلال الاعتماد على مجموعة من المصادر التاريخية، بما في ذلك الآراء القانونية ومدونات السفر والرسائل الأخلاقية، ومن ثم يعيد بناء الشبكة المعقدة من الاجتماعات الثقافية التي شكلت التصورات عن المقهى وروادة.

ومن المجالات المحتملة لمزيد من التطوير إجراء استكشاف أكثر تفصيلاً لوكالة المجموعات الاجتماعية المختلفة في تشكيل معنى ووظيفة المقهى. في حين أن الفصل يقر بالزبائن المتنوعين، فإن إجراء تحليل أكثر دقة لكيفية تفاوض مختلف الفاعلين الاجتماعيين (مثل النخب الدينية والتجار والمواطنين العاديين) وتكيفهم مع الفضاء الاجتماعي الجديد من شأنه أن يثري الفكرة. ومع ذلك، يقدم وصفًا مقنعًا وبديهيًا للديناميكيات الاجتماعية والثقافية المحيطة بصعود المقهى، مما يساهم في فهم أعمق للتحولات التي شكلت المجتمع الحديث المبكر.

إن تاريخ القهوة والمقاهي قصة غنية بالتفاعل الثقافي والاجتماعي من أصولها في اليمن إلى تأثيرها العالمي لتكون رمزًا للتواصل، ومراكز حيوية تساهم في إغناء وتعزيز الثقافة العالمية. وكيف يمكن لمشروب بسيط أن يغير من أسلوب حياة الأفراد والمجتمعات، ويصبح جزءًا من الهوية الثقافية والاجتماعية؟!

بودكاست بيت الحكمة

منصة فكرية تجمع نخبة من العلماء والمفكرين لمناقشة قضايا الفلسفة، والعلوم، والثقافة، بهدف توسيع الآفاق وتحفيز التفكير عبر سلسلة من الحوارات الشيقة. تعرض حلقات البرنامج عبر قناة الجامعة على اليوتيوب.

أسماء الشوارع الاستعمارية

Koloniale Strassennamen

فيرينا إيبرت

قراءة سلطان عبدالله المعاني
أستاذ الآثار واللغات السامية
في الجامعة الهاشمية - الأردن

تعود صلتي بموضوع الطوبونيميا إلى العام 1988م خلال إعدادي لأطروحة الدكتوراة في جامعة برلين الحرة، والتي حملت عنوان: "أسماء المواقع الجغرافية في شمالي الأردن: دراسة في الدلالة والاشتقاق، على ضوء اللغات الساميّة" (باللغة الألمانية). ثم توالت دراساتي لتشمل كثيراً من أسماء المواقع في جنوبي الأردن، مثل: "اسماء المواقع الجغرافية في محافظة الكرك: دراسة اشتقاقية دلالية"، وبحث: "بقايا اللهجات السامية في أسماء المواقع في بلاد الشام"، وبحث " نحو معجم اشتقاقي تاريخي لأسماء المواقع الجغرافية"، وغيرها كثير.

إن كتاب "أسماء الشوارع الاستعمارية" لفيرينا إيبرت عمل أكاديمي يتناول تأثير الاستعمار على تسمية الأماكن العامة في المدن الألمانية خلال الفترة من 1884 إلى 1945. وهو تحليل معمق للعلاقة بين اللغة والتاريخ، حيث يُظهر آلية استخدام أسماء الشوارع كمفاصل ذهنية تُرسِّخ الهيمنة الثقافية والسياسية. تناولت إيبرت، من خلال عشرة فصول، موضوعات متنوعة بدءًا من النظريات الأساسية، وصولاً إلى التحليل الدقيق للبيانات، مُقدمةً مادة قيمة في مجال اللسانيات الاستعمارية وما بعد الاستعمارية. ولعل هذا الكتاب مرجعية مهمة للباحثين المعنيين بدراسة تأثير الاستعمار على البنى الثقافية واللغوية في المجتمعات المُستعمَرة بشكل عام، ومن هنا جاءت رغبتي في قراءة هذا الكتاب قراءة مرجعية تستعرض أهم مفاصله.

تكشف هذه الدراسة التي أجرتها إيبرت النقاب عن موضوعٍ محوري في حقل الدراسات الاستعمارية واللغوية، حيث تكشف دور استخدام اللغة كأداة للسيطرة والهيمنة، فمن خلال تحليل ممارسات تسمية الأماكن العامة، تكشف الباحثة عن الطرق التي استُخدمت بها الأسماء الطبوغرافية لتعزيز الصورة الذاتية الاستعمارية وترسيخ الأيديولوجيات الاستعمارية في الوعي الجمعي، فجاءت أسماء الشوارع علامات توجيهية، تحمل رسائل مضمرة تخدم النظام الإستعماري وتعكس توجهاته. يُشكِّل هذا العمل خطوةً نوعيةً في وعي آلية تطبيق الأسماء الاستعمارية، ويوسع مساحة الرؤية للأدوات الوطنية في جهودها لاختزال دور الهوية الاستعمارية داخل الوطن، وتكشف الدور الذي تلعبه أسماء الشوارع في توسيع نطاق الأيديولوجية الاستعمارية، وتأثيرها على الذاكرة الوطنية. وقد ركز الكتاب على الوظائف الخطابية لأسماء الشوارع وأهميتها، والتي كانت تُستخدم لتكريس الحالة الاستعمارية، وتعزيز ذاكرتها، وذلك من خلال تحليل المعاني الرمزية للأسماء، التي تُلقي الضوء على كيفية استخدامها لإحياء ذكرى الشخصيات والأحداث الاستعمارية، وبالتالي تعزيز السرديات الاستعمارية، وتعميق تأثير الأنظمة السياسية والأيديولوجية المختلفة على ممارسات التسمية، وتكييف أسماء الشوارع مع التحولات السياسية والأيديولوجية عبر الزمن. ويُظهر التحليل كيف أن هذه الرموز الاستعمارية قد تم إعادة توظيفها لتتناسب مع الأطر الأيديولوجية الجديدة، مما يُعد دليلاً على مرونة الرموز العامة وقدرتها على التكيف مع السياقات السياسية المتغيرة.

يقدم هذا الكتاب توليفة تشابك اللغة مع التاريخ والسياسة في تشكيل المشهد الحضري، من خلال منهجية دقيقة في جمع وتحليل مجموعة واسعة من أسماء الشوارع، وتقسيمها إلى فئات وفق الدلالات أو الاشتقاقات، وتقييم البيانات، واستخراج الأنماط والاتجاهات.

فالكتاب الذي بين أيدينا مساهمة حقيقية في الدراسات اللغوية والثقافية، يجمع بين التحليل الدقيق، والمنهجية المنظمة، وتقديم فهم أعمق للتأثيرات اللغوية للاستعمار. وبشكل عام، يُعتبر كتاب "أسماء الشوارع الاستعمارية" عملاً رائدًا يُسهم في تعزيز الفهم النقدي للماضي الاستعماري، وتأثيراته المستمرة على الحاضر، ويُعطي الباحثين والقراء أدوات لتفسير وإعادة تقييم الرموز الاستعمارية في سياقاتها الحديثة.

ويتناول الكتاب موضوعات متعددة ومتشابكة تتعلق بالأسماء الجغرافية وتأثيراتها الثقافية والسياسية، ويقدم تحليلاً شاملاً للمناهج التاريخية والثقافية المتبعة في دراسة هذه الظاهرة. ويتناول الفصل الثاني الأسس النظرية للدراسة، مركزة على النهج

الثقافي-التاريخي، وعلى نظرية الذاكرة، والطوبونيميات النقدية. ويوضح الفصل الثالث بمنهجية دقيقة آلية جمع البيانات وتحليلها، مؤسسًا للمبادئ الأساسية ومنهج الوصول المتقاطع. وتكشف النتائج المقدمة في الفصل الرابع عن تحليلات زمانية ومكانية متعلقة بالتسميات، بينما يقدم الفصل الخامس تحليلًا للكميات والنماذج الهيكلية. ويأتي الكتاب أيضًا على الأنماط الهيكلية والوظائف الخطابية للأسماء الاستعمارية، ويحلل التأثير السياسي والأيديولوجي للأنظمة المختلفة على ممارسات التسمية.

يُبرز الكتاب أهدافاً أساسيةً في التناول الطوبونيمي، ومنها الحاجة الحقيقية إلى تحليل ممارسات التسمية الاستعمارية، وفهم الأنماط الهيكلية، والوظائف الخطابية لأسماء الشوارع، وتأثير الأنظمة السياسية المختلفة على ممارسات التسمية. فيما يُقدم الكتاب خلفية تاريخية غنية تغطي فترات مختلفة من التاريخ الألماني، بدءًا من الإمبراطورية الألمانية، ومرورًا بجمهورية فايمار، وصولًا إلى الحقبة النازية. ويستعرض كل فترة زمنية وكيف أَثَّرَتْ بشكل مغاير على تسمية الشوارع، بما يعكس التحولات السياسية والاجتماعية التي شهدتها البلاد.

وتقدم فيرينا أيبرت في الفصل الثاني من كتاب "أسماء الشوارع الاستعمارية" استعراضًا مطولاً للأبحاث السابقة، والنظريات المتعلقة بأسماء الشوارع، ودورها في تشكيل الذاكرة الجماعية، والهوية الثقافية. وتبدأ بالنهج التاريخي والثقافي، لتوضح أن أسماء الشوارع مؤشرات جغرافية، وشواهد على القيم الثقافية والسياسية التي تعبر عنها. وتناقش المؤلفة من خلال الاستشهاد بأعمال موريس هالبواكس وآسوما أسمان، كيفية استخدام أسماء الشوارع بوصفها أدوات لتعزيز الذاكرة الجماعية، سرديات تاريخية تكرس المعاني الثقافية. وتتطرق إيبرت، أيضًا، إلى الطوبونيميات النقدية، مشيرة إلى أن الأسماء يمكن أن تكون أدوات للهيمنة والسيطرة، خاصةً الأسماء الاستعمارية التي تعكس القوى السياسية التي قامت بتسميتها. وتنتقل بعد ذلك إلى النهج اللغوي، حيث تقدم سرداً عاماً على علم الأسماء (الأونوماستيك)، مؤكدة على أهمية دراسة الأسماء كوحدات لغوية ضمن النظام اللغوي الأوسع، وتستعرض من خلال ذلك أعمال باحثين مثل إيبرت باخ، ورينهارد شوتزيشل، الذين ساهموا في تطوير هذا الفرع من اللغويات. ففي قسم الطوبونيميات، تستعرض الباحثة الأعمال التي تناولت الأسماء الجغرافية من منظور لغوي، موضحة كيف تؤثر السياقات الثقافية والتاريخية على تسمية الأماكن، كما تناقش اللغويات الاستعمارية، وكيفية استخدام الأسماء كأدوات للسيطرة والهيمنة، وكيف تعكس الأسماء الاستعمارية القوى التي قامت بتسميتها، مما يؤكد على تفاعلات كل من اللغة والسلطة والهوية في هذا السياق.

وفي البعد المنهجي تتناول إيبرت الوصول المتقاطع للمواقع، حيث تحلل الأسماء عبر مدن متعددة، مما يسمح لها برسم صورة أكثر شمولية للأنماط الوطنية في تسمية الشوارع. ويمنح هذا البعد فهماً شاملاً للتأثيرات المتبادلة بين المواقع المختلفة، ويسهم في تقديم رؤية مقارنة للأسماء الاستعمارية، ويعكس التنوع الجغرافي والثقافي لألمانيا خلال الفترة المدروسة. وذلك باختيار مدروس للمدن، والمعايير المستخدمة في اختيارها، بما يضمن تحليلًا دقيقًا ومتوازنًا للبيانات.

وقد استخدمت إيبرت المنهج الوصفي لتقديم تفاصيل دقيقة حول الأسماء، والممارسات التسموية، معتمدةً على مجموعة واسعة من المصادر التاريخية. وتشرح كيفية جمع البيانات وتوثيقها بعناية، بما يضمن الدقة والشمولية في البحث. ومن خلال هذا النهج، يقدم هذا الكتاب مساهمة حقيقية في إدراك تشكيل الأسماء الاستعمارية للمشهد الحضري والذاكرة الجماعية، وقد تم تطبيق منهجيات البحثية بشكل مبتكر بحيث تكشف عن الأبعاد المخفية والمضمرة للتاريخ واللغة. وبينت إيبرت أنها استقت المعلومات من مصادر متنوعة مثل الأرشيفات التاريخية، والخرائط التاريخية، وعناوين إلى كتب، مما أغنى موضوعات الكتاب المتعددة.

في تحليل البيانات، تستخدم إيبرت شبكة فئات متداخلة ومتباينة، تشمل الشروح الزمانية والمكانية، والشروح المتعلقة بالتصميم، والشروح الخطابية الجدلية. وتُفصّل كيفية أسهمت هذه الشبكة في تصنيف الأسماء وتحليلها بدقة، مع التركيز على كيفية تأثير الأحداث التاريخية على الأسماء وتغيرها. تُعد الشروح الخطابية الجدلية جزءًا حيويًا من التحليل، حيث تُظهر كيف يمكن للأسماء أن تعمل كأدوات دعائية تعزز السرديات الاستعمارية، وتدعم الهويات السياسية. تُشير إلى أن فهم هذه الوظائف الخطابية يُمكن أن يُسهم في تفسير الأسماء بشكل أعمق.

ويُعد الفصل الرابع من كتاب "أسماء الشوارع الاستعمارية" للكاتبة فيرينا إيبرت محوريًا في فهم كيفية تأثير الاستعمار على البنية التحتية الثقافية، والجغرافية في ألمانيا. ويقدم الفصل تحليلًا شاملاً للأسماء الاستعمارية للشوارع، مشيرةً إلى كيفية تكريم هذه الأسماء لشخصيات استعمارية بارزة وأحداث تاريخية، وكيف تعكس الروابط بين الوطن ومستعمراته. ويُظهر التوزيع الجغرافي لهذه الأسماء عبر المدن الألمانية الكبرى والصغرى الأهمية الثقافية والسياسية للمستعمرات في تشكيل الوعي الوطني الألماني. وتبرز المؤلفة من خلال تحليل الأنماط الهيكلية للأسماء، الدور الذي لعبته الأسماء الشخصية، والجغرافية، والرمزية في تكريس

الأيديولوجيات الاستعمارية، من جهة، والوطنية، من جهة مقابلة، خلال تلك الفترة. فهذا الفصل يؤشر على كيفية استخدام الأسماء كأدوات للسلطة والهوية، ويُسلط الضوء على الأثر الدائم للتاريخ الاستعماري على المشهد الحضري.

يُعتبر تحليل إيبرت للأسماء الاستعمارية مثالًا على البحث الأكاديمي الذي يُمكن أن يُساعد في إعادة تقييم وفهم السياقات التاريخية والثقافية للممارسات الاستعمارية وتأثيرها على العالم الحديث. يُعد هذا الفصل موردًا غنيًا للباحثين والطلاب المهتمين بالتاريخ الألماني، والاستعمار، والدراسات الثقافية، ويُقدم أساسًا متينًا للمناقشات حول الهوية الوطنية والذاكرة التاريخية. ويُساهم الفصل في تعميق الفهم النقدي للماضي الاستعماري، ويُشجع على التفكير في كيفية تشكيل الأسماء للمفاهيم الاجتماعية والثقافية التي نعيشها اليوم.

وتنتقل المؤلفة بعد ذلك لتوضيح توزيع هذه الأسماء عبر المدن الألمانية، ملاحظةً أن المدن الكبرى مثل برلين وهامبورغ ودريسدن تحتوي على نسبة أكبر من الأسماء الاستعمارية مقارنةً بالمدن الصغيرة، مما يعكس التركيز الأكبر للجهود الاستعمارية في المراكز الحضرية. كما تتعمق إيبرت في تحليل الأنماط الهيكلية للأسماء، مشيرةً إلى أن جزءاً كبيراً منها يكرم شخصيات استعمارية مثل كارل بيترز، وأدولف لودريتز، وهو ما يعكس الأهمية الكبيرة التي أوليت لهؤلاء الأفراد في السياسة الاستعمارية الألمانية. كما تشير إلى أن العديد من الأسماء تحمل أسماء مستعمرات ألمانية، مثل "توغو شترا سه" و"كاميرونشتراسه"، مما يعزز الروابط بين الوطن والمستعمرات. وتناقش أيضاً الأسماء التي تحمل دلالات رمزية، مثل "فريهيدشتراسه" و"فيلهلمشتراسه"، التي تعكس الأيديولوجيات السياسية والاجتماعية للحقبة الزمنية، موضحةً أن هذه الأسماء كانت تهدف إلى تعزيز متضاد للقيم الاستعمارية والوطنية.

وفي الفصل الخامس من كتاب "أسماء الشوارع الاستعمارية"، تقدم فيرينا إيبرت تحليلًا كميًا للبيانات المتعلقة بأسماء الشوارع في ألمانيا خلال الفترة الاستعمارية. يُظهر التحليل زيادة في استخدام الأسماء الاستعمارية خلال الإمبراطورية الألمانية، وتغيرات ملحوظة خلال جمهورية فايمار والنازية. ويُسلط الضوء على توزيع الأسماء حسب النوع، مما يعكس الأولويات الثقافية والسياسية للفترات المختلفة. ويُعتبر التحليل الكمي الذي تقدمه إيبرت مثالًا على كيفية تحويل البيانات النوعية إلى معلومات يمكن قياسها وتحليلها للكشف عن الأنماط التاريخية والثقافية.

في هذه المراجعة، يتم تسليط الضوء على الأبعاد المكانية والوظيفية للأسماء الاستعمارية في المدن الألمانية، مما يكشف عن تأثيراتها العميقة على النسيج الحضري والهوية الثقافية. ويُظهر التحليل المكاني كيف أن توزيع هذه الأسماء لم يكن عشوائيًا، بل كان يتبع نمطًا محددًا يعكس الأهمية الاستراتيجية والسياسية للمناطق المختلفة. ومن خلال التركيز على المراكز الحضرية الكبرى مثل برلين وهامبورغ ودريسدن، نكتشف كيف استخدمت الأسماء الاستعمارية كأدوات للدعاية وتعزيز الهوية الاستعمارية. وفي الوقت نفسه، يُبرز التحليل الوظيفي الدور الذي لعبته هذه الأسماء في تشكيل الوعي الاجتماعي والوطني، مع التأكيد على الأسماء الرمزية التي ساهمت في بناء الذاكرة الجماعية وتعزيز القيم المشتركة.

قدمت فيرينا إيبرت في الفصل السادس من كتابها تحليلاً عميقاً للأنماط الهيكلية والوظائف الخطابية لأسماء الشوارع الاستعمارية في ألمانيا خلال الفترة من 1884 إلى 1945. وبينت أن الأسماء لم تكن مسميات عشوائية، بل ممنهجة تتَّبع أنماطاً محددة تُسوِّق القيم والأهداف الاستعمارية. وأوضحت أن الأسماء الطوبونيمية في الكتاب تُصنَّف إلى ثلاث فئات رئيسية: الأسماء الشخصية، التي تكرم الشخصيات الاستعمارية البارزة؛ الأسماء الجغرافية، التي تعزز الروابط بين المستعمرات والوطن؛ والأسماء الرمزية، التي تعكس القيم الوطنية والسياسية. وتحلل إيبرت أيضاً الأنماط اللغوية للأسماء، مشيرة إلى أنها كانت تُصمم بعناية لتعزيز الرسائل الدعائية، حيث تجمع الأسماء المركبة بين عناصر مختلفة لتعزيز الرسالة، مثل "فيلهلمشتراسه" التي تعكس دور الإمبراطور فيلهلم في الجهود الاستعمارية، والأسماء الوصفية التي تصف المواقع أو الأحداث بعبارات تعزز الرسالة، مثل "توغوشتراسه" التي تربط الشارع بالمستعمرة الأفريقية توغو.

في مراجعة الكتب التي تتناول الوظائف الخطابية والدعائية للأسماء الاستعمارية، يمكن التركيز على كيفية استخدام الأسماء كأدوات لتشكيل الوعي الجمعي وتعزيز الأيديولوجيات. فالأسماء مراجع تاريخية، ووسائل لنقل قيم ومعتقدات معينة. علاوة على ذلك، يُسلط الكتاب الضوء على الوظائف الاجتماعية للأسماء الاستعمارية، فهذه الأسماء تُستخدم لتخليد الأحداث والشخصيات، مما يعزز الروابط الثقافية والاجتماعية، ويساعد في بناء الشعور بالانتماء والتواصل بين الأفراد. ويبين الكتاب من خلال تحليل الوظائف الخطابية والدعائية للأسماء الاستعمارية كيفية استخدام اللغة كأداة للسلطة والتأثير. ويتم فيها استكشاف الخطابات السياسية المتغيرة عبر الزمن، وكيف تم استخدام أسماء الشوارع لتعزيز الأيديولوجيات السياسية السائدة، سواء خلال فترة الإمبراطورية الألمانية أو في الحقبة النازية، فالأسماء مرايا تعكس الواقع

السياسي، وأدوات نشطة في تشكيل هذا الواقع وتوجيه الرأي العام.

وتُشير إيبرت إلى أن الأسماء الاستعمارية في المدن الصغيرة كانت أقل شيوعًا، مما يعكس ربما انخفاض الأهمية الاستعمارية لهذه المناطق. ومع ذلك، حتى في هذه المدن، تُعد الأسماء الاستعمارية دلالة على النفوذ الذي كانت تمارسه الإمبراطورية الألمانية على مستوى المحلي. وفي الأحياء المختلفة داخل المدن، تُظهر الدراسة أن توزيع الأسماء الاستعمارية لم يكن متساويًا، بل كان يتمركز في المناطق ذات الأهمية الاستراتيجية والسياسية. هذا يعكس الرغبة في تعزيز الهوية الاستعمارية في الأماكن التي يُتوقع أن تكون لها أكبر تأثير على السكان. وتُبين إيبرت، أيضًا، أن للأسماء تأثيراً ملموساً على الفضاء الحضري، وتُشير إلى أن الأسماء تُستخدم كأدوات لتوجيه الناس وإضفاء الطابع الرمزي على الأماكن، مما يُعزز من قيمتها ويُعمق من معانيها في الذاكرة الجماعية. فاستخدام الأسماء كأداة للتأثير على الهوية والمكان يرتبط بمجال الدراسات الثقافية والحضرية، ويُلهم الباحثين وصانعي السياسات والمهتمين بالتخطيط الحضري لإعادة التفكير في كيفية استخدام الأسماء في مدنهم ومجتمعاتهم لتعزيز الهوية الثقافية والتاريخية.

في أعقاب الحرب العالمية الثانية، شهدت ألمانيا وغيرها من الدول المتأثرة بالنازية والاستعمار عملية تحول جذرية في المشهد الثقافي والاجتماعي. وجاءت إعادة التسمية للشوارع والميادين العامة جزءًا لا يتجزأ من هذا التحول، حيث تم استبدال الأسماء التي تحمل دلالات نازية أو استعمارية بأسماء تعكس القيم الجديدة للسلام والتضامن الإنساني. هذه الاستبدال كان يمثل جهدًا متعمدًا لإعادة كتابة التاريخ وتشكيل هوية جديدة تقوم على الاحترام المتبادل والديمقراطية. وقد كانت الدوافع وراء هذه التغييرات متعددة الأوجه؛ فمن ناحية، كانت هناك رغبة في محو آثار النظام النازي، والتخلص من الرموز التي تذكر بالفترة الاستعمارية. ومن ناحية أخرى، كانت هناك حاجة لتعزيز القيم الديمقراطية، وإعادة بناء الهوية الوطنية على أسس تتسق مع المعايير العالمية لحقوق الإنسان، وهي عمليات تعبير عن الرفض للماضي، وتؤكد على الأمل في مستقبل أفضل. ومن الأمثلة البارزة على هذه العملية تغيير اسم "هتلر شتراسه"، الذي كان يمثل الديكتاتورية والقمع، إلى "كونراد أديناور شتراسه"، تكريمًا لأول مستشار لجمهورية ألمانيا الاتحادية، وأحد مؤسسي الديمقراطية الجديدة في البلاد، وهذا التغيير كان تحديثاً للخرائط الذهنية، قبل أن يكون إعلانًا عن بداية عهد جديد من الشفافية والمسؤولية الاجتماعية.

لقد عكست عمليات إعادة التسمية هذه الرغبة في التصالح مع الماضي، وبناء مستقبل يقوم على التفاهم والتعاون بين الشعوب، وتشير إلى أن الأمم يمكن أن تتعلم من أخطائها، وتسعى إلى تحقيق تقدم مستدام، يحترم كرامة الإنسان، ويعزز السلام العالمي.

تعد الأسماء الجديدة في السياقات الحديثة موضوعًا مثيرًا للاهتمام يستحق الدراسة والتحليل. وتبرز الكاتبة إيبرت في كتابها كيف تعكس هذه الأسماء الجديدة، مثل تلك المستخدمة في تسمية الشوارع، القيم والتطورات الثقافية والاجتماعية في المجتمعات. من خلال تبني أسماء شخصيات بارزة مثل نيلسون مانديلا ومارتن لوثر كينغ، تسعى المدن الألمانية إلى تعزيز مفاهيم مثل الحرية والمساواة والعدالة. هذه الأسماء تجسد الدوافع الكامنة وراء الرغبة في التغيير والتقدم، وتشير إلى الأهمية المتزايدة للهوية الثقافية والتاريخية في عالم يتسم بالعولمة والتغير المستمر.

في الفصل التاسع من الكتاب، تتناول الكاتبة إيبرت موضوع التحديات والمقاومة التي تواجه عمليات إعادة التسمية في ألمانيا، مشيرةً إلى أن هذه العمليات لم تكن مجرد إجراءات إدارية بسيطة، بل كانت تحمل في طياتها صراعات عميقة تتعلق بالهوية والذاكرة التاريخية. تبين إيبرت أن الأسماء القديمة ليست مجرد مسميات، بل هي رموز للتاريخ والتراث، وأن تغييرها يمكن أن يُنظر إليه كمحو لجزء من الذاكرة الجماعية. تُظهر الأمثلة التي قدمتها الكاتبة كيف أن الاحتجاجات ضد تغيير أسماء الشوارع التي تحمل دلالات استعمارية أو نازية، تعكس التحديات الأكبر المتعلقة بمعالجة الماضي وإعادة تشكيل الهوية الوطنية.

تُشدد إيبرت على أهمية البحث الأكاديمي في هذا المجال، مؤكدةً على أن فهم تأثيرات إعادة التسمية على الهوية الوطنية والذاكرة الجماعية يمكن أن يساهم في تعزيز الوعي الثقافي والتاريخي. وتدعو الكاتبة إلى ضرورة إجراء المزيد من الدراسات التي تتناول هذه القضايا بعمق، ليس فقط في سياق ألمانيا، بل كجزء من النقاش الأوسع حول الهوية والتاريخ في العالم المعاصر.

في الفصل الأخير من الكتاب تقدم المؤلفة تلخيصًا للنتائج التي توصلت إليها دراستها، مع تسليط الضوء على الأنماط الهيكلية والوظائف الخطابية لأسماء الشوارع التي تحمل بصمات الفترة الاستعمارية. وتُبين كيف أن التغيرات الزمنية والمكانية في الأسماء تعكس التحولات السياسية والاجتماعية التي شهدتها ألمانيا. وتناقش عمليات إعادة التسمية والأسماء الجديدة التي تم تبنيها في مرحلة ما بعد النازية. هذا الفصل، بتحليلاته العميقة وتوصياته المستقبلية، يُعد ختامًا مثاليًا لدراسة شاملة تُسلط الضوء على أهمية الأسماء في تشكيل الهوية الثقافية والتاريخية للمجتمعات.

وبعد، فهذا الكتاب يمثل موردًا قيمًا في مجال الدراسات اللسانية والثقافية، ويُقدم نظرة شمولية

على تأثير الأسماء في الفضاء العام، وتفاعلها مع الهوية الوطنية، والذاكرة الجماعية. ولا مندوحة ان النهج المتعدد التخصصات الذي يُمكن القارئ من استيعاب العلاقات المعقدة بين اللغة، التاريخ، والمجتمع، قد شكل الطرح المناسب للدراسات الطوبونيمية. ويسجل للمؤلفة الجمع بين التحليل الكمي والنوعي الذي يُعطي دقة وعمقًا للنتائج. وتُعد التوصيات العملية المُقدمة في نهاية الكتاب إضافة مهمة للباحثين وصانعي السياسات، خاصةً فيما يتعلق بإعادة تقييم الأسماء ذات الدلالات الاستعمارية. ومع ذلك، يُشير النقد إلى حاجة الكتاب لتوسيع نطاق الدراسة ليشمل مناطق وفترات زمنية أوسع لتعميق الفهم، وإلى التحديات التي واجهتها الباحثة في الوصول إلى المصادر، مما قد يؤثر على شمولية البيانات.

ملتقى علمي لتطوير البرامج بين الجامعة وجامعة نهضة العلماء بإندونيسيا

18 ديسمبر 2024

نظمت جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية الملتقى العلمي لتطوير البرامج مع جامعة «نهضة العلماء» الإندونيسية، وذلك في خطوة استراتيجية نحو تدشين كلية محمد بن زايد لدراسات المستقبل، في مدينة يوجياكرتا الإندونيسية (MBZ-CFS)، والتي تعد ثمرة شراكة استراتيجية راسخة بين حكومتي دولة الإمارات العربية المتحدة وجمهورية إندونيسيا، وتم اختيار مدينة يوجياكرتا، التي تتمتع بمكانة علمية مرموقة، كموقعٍ مثالي لمقر الكلية، مما يعكس عمق الرؤية المشتركة للبلدين.

الشجرة التي تتوسط شعار الجامعة
هي "شجرة الأديان" التي تجسد الأصل
المشترك للإنسانية في جذعها
والمتفرع إلى عدة أديان ومعتقدات
في فروعها، فيما تمثل أوراق الغاف
المحلية قيم التسامح.

The tree at the center of the university's logo is the "Tree of Religions" which embodies the common origin of humanity in its trunk while its branches represent the diversity of religions and beliefs. The Ghaf leaves symbolize the values of tolerance.

Story of the Emblem

قصة الشعار

1. إطار دائري
مرصع بـ21 نقطة

المعرفة والحكمة

كلمة Phi أصل كلمة "فلسفة" (φιλοσοφία) التي تترجم إلى عبارة "تقدير للمعرفة".

يدل الرمز ً أيضا على معاني التوزان (بين كلا المحورين)، مما يقودنا إلى شبكة متماثلة المحاور.

إطار دائري من 21 نقطة يرمز إلى سنة تأسيس الجامعة، (أيضا عام اليوبيل).

2. شجرة

تبادل الأفكار الأخوي

تشير الشجرة إلى تمثيل أديان العالم النابعة من جذع واحد متشابك.

أقوى ثلاثة جذور تشير إلى الأصول المشتركة بين معتقدات الأديان الإبراهيمية.

3. البحر، الصحراء
وثلاث نقاط رئيسية

الإمارة والوطن

البحر هو جزء لا يتجزأ من قصصنا

لقد شكلت الصحراء والكثبان شخصيتنا ومن نحن.

ثلاث نقاط أساسية تمثل المناطق الثلاث للإمارة - العين والظفرة وأبوظبي - في إشارة إلى المراجع الإرشادية.

4. كتاب مفتوح

التعليم هو بذرة التفاهم

الكتاب المفتوح يوضح التزامنا تجاه التعليم بوصفه وسيلة للتفاهم والتسامح.

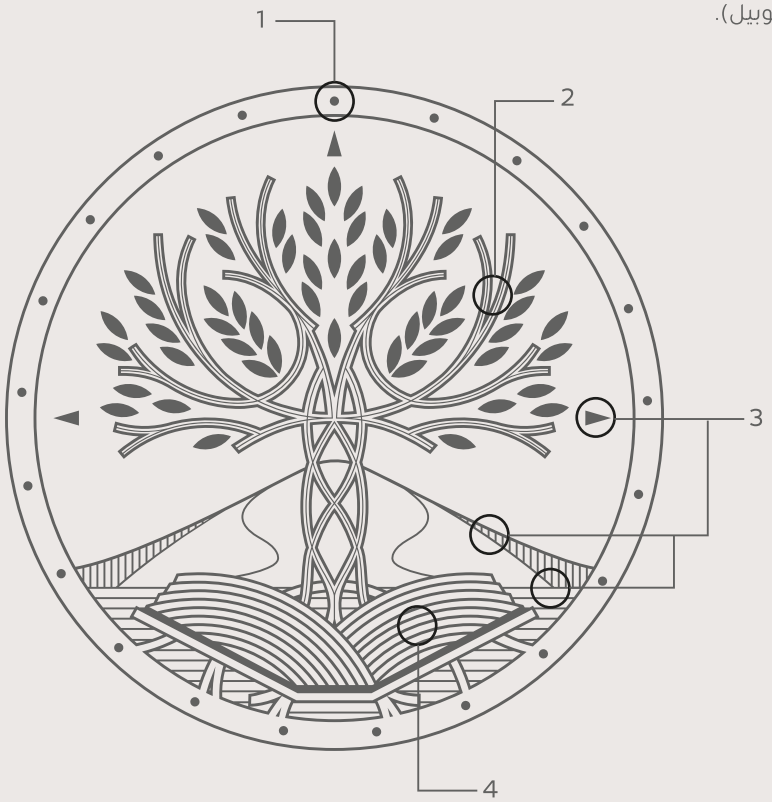

1. Circular Frame
with 21 Dots

KNOWLEDGE
AND WISDOM

The symbol Φ also inspires graphical balance and dual symmetry (both axis), leading us to a symmetric and even grid.

A circular frame with 1 dots symbolises the-es tablishing year of the University, 01 (also year of the UAE jubilee).

2. Tree

FRATERNAL
SHARING OF IDEAS

The Tree refers to the representation of the world religions stem ming from one same intertwined trunk.

Three stronger roots relate to the shared origins which hold the beliefs of the Abra-hamic religions.

3. The Sea, The Desert and
The Three Cardinal Points

THE EMIRATE
AND THE NATION

The sea is embedded in our stories and has shaped our character and who we are.

Three cardinal points rep-resent the 3 regions of the Emirate — Al Ain, Al Dhafra, Abu Dhabi — in an allusion to guiding references.

4. Open Book

THE SEED FOR
UNDERSTANDING

The open book il-lustrates our com-mitment towards education as a vehicle for under-standing and tol-erance.

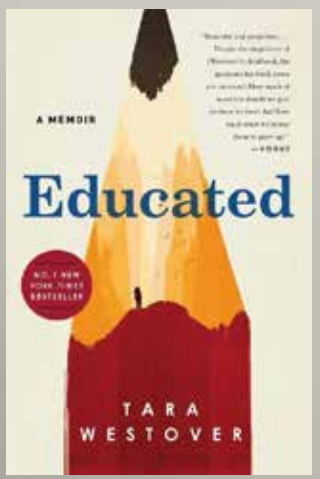

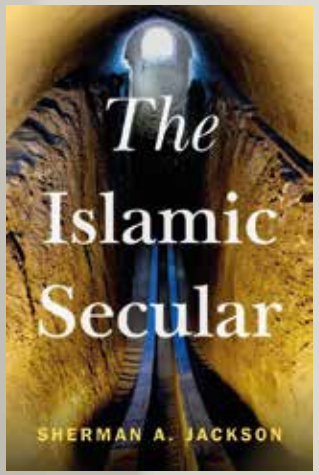

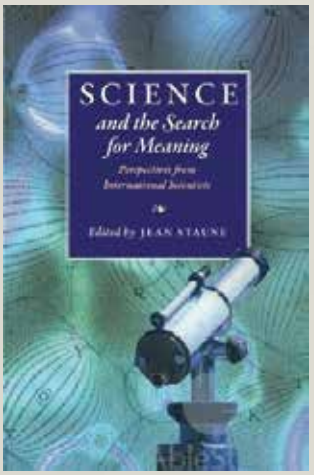

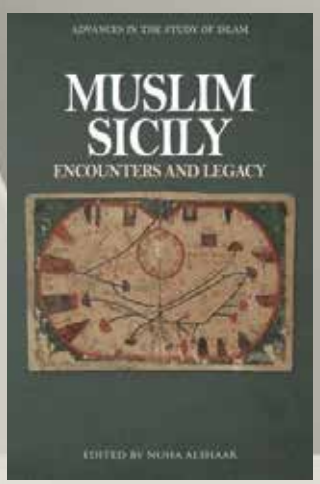

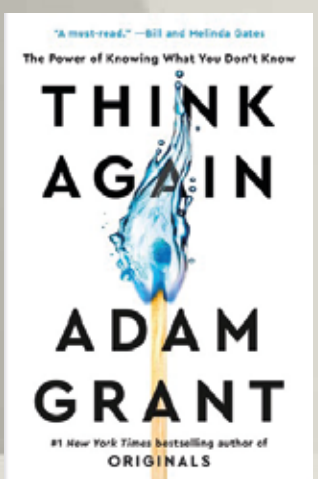

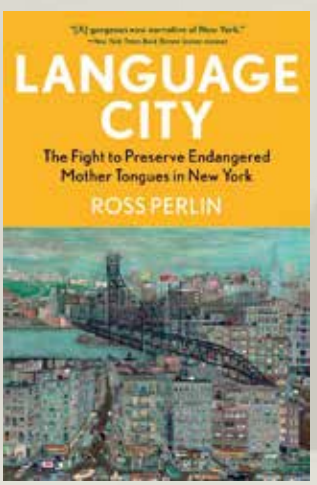

في الأعداد القادمة

إصدار: إدارة الدعم البحثي بجامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية
بالتعاون مع: الأرشيف والمكتبة الوطنية
MBZ university for humanities mbzuh